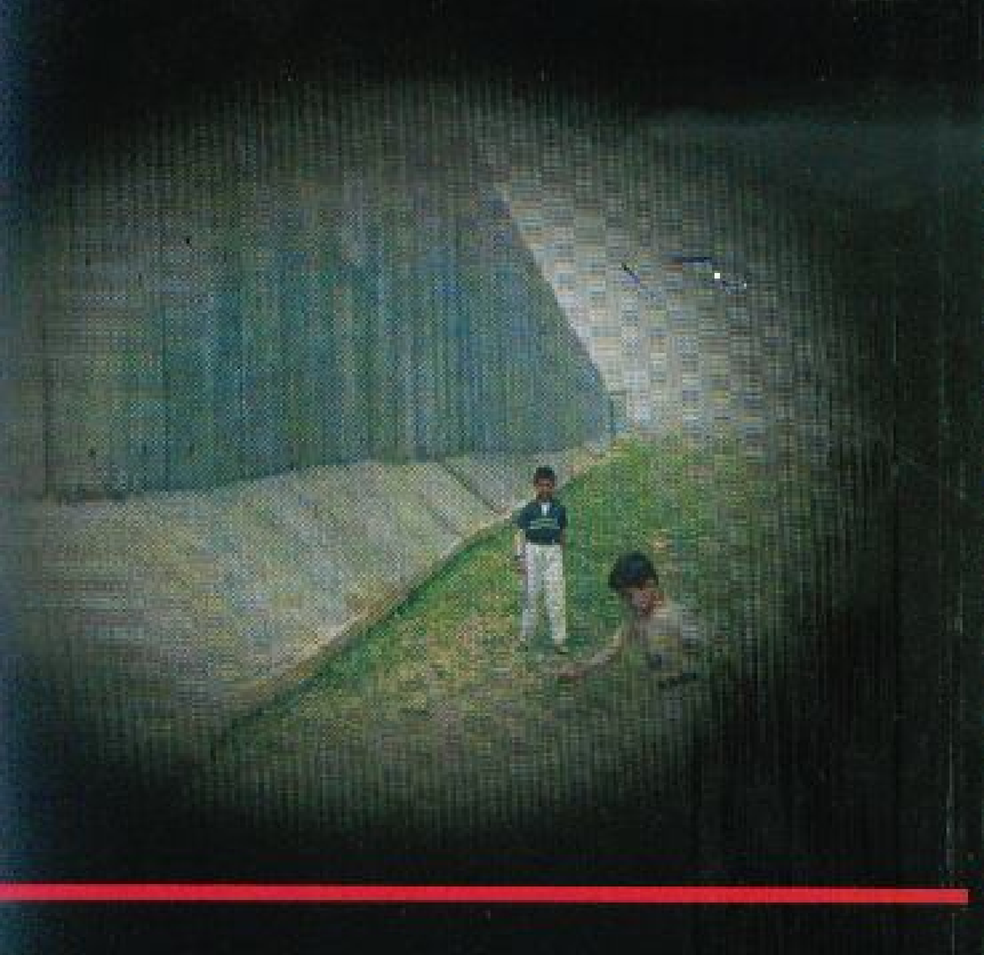
زياد عودة



الصهيونية ...
تاريخ طويل في العدوان

زياد عودة

الصهيونية... تاريخ طويل في العدوان

إشارة :

مواضيع هذا الكتاب تمت كتابتها وإعدادها لغاية عام ٢٠٠٤

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٤/٩٢٥)

٣٢٠,٥٤
عودة، زياد
الصهيونية: تاريخ طويل في العدوان / زياد
عودة. _ عمان: المؤلف، ٢٠٠٤ .
( ) ص .

ر. إ. : ٢٠٠٤/٤/٩٢٥ .
الواصفات: /الصهيونية/ إسرائيل/ تاريخ فلسطين/

*تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

يطلب من
المكتبة الثقافية
٠٧٨٦٨٠٦٨٢٣

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

الإهــــداء

إلى الصامدين فوق ثرى فلسطين من البحر إلى النهر ....

إلى الذين أذهلوا العالم كله بصمودهم فصاروا مفخـــرة للـــشعوب المجاهدة من أجل تحرير أوطانها من قيود الاحتلال...

إلى جيل الحجارة الذين قلبوا الموازين أمام من ادعوا أنهم سينـــسون فلسطين...

وبنضالهم وصمودهم ستعود فلسطين عربية الوجه واللسان رغم كل أعداء الحرية...

أهدي هذا الكتاب تحية إجلال وتقدير...!!

زيــــــــاد

كلمة أولى

ما أكثرَ الكتب التي صدرت عن القضيةِ الفلسطينية التي شغلت العالم كله، بسبب احتلال فلسطين من قبل الصهاينة الذين عاثوا فيها فساداً وإجراماً... وخضبت أيديهم بدماءِ الأبرياء من أبناءِ الشعب العربي الفلسطيني صاحب الوطن والأرض... الذي اقتلع من وطنهِ اقتلاعاً... وشرّد من ديارهِ وأراضيهِ رغماً عنه...

وقد هزت مأساة فلسطين الكتاب والشعراء والمفكرين من أبناءِ فلسطين والوطن العربي الكبير، فكتبوا عنها بدموع عيونهم... يطرحونها على بساط البحث والتحليل... ولكن من يقرأ...؟!

فالكتب كثيرة إلى حدٍّ يصعبُ الإطلاع عليها، وأي موضوع يحتاج إلى وقت طويل للقراءة...

ومن أجلِ هذا كلهِ، جاءتْ فكرة هذا الكتاب للتذكير بأهم الأحداث والتطورات التي مرّت بفلسطين، عبر أكثر من قرن من الزمان...!!

والتعريفِ بأعداءِ الأمةِ العربيةِ من الصهاينة وغيرهم ممن ساهموا في احتلال فلسطين...

إنّها إضاءات للتعريفِ بدور اليهود الصهاينة في تزييف الحقائق...

وفي محاولةِ جعل الباطل حقاً، وفي تشويهِ صورةِ العربي ليس في فلسطين فحسب، بل في كل منطقةٍ من العالم الإسلامي والعربي...!!

سائلين الله أن يعيد كل لاجئ ومشرد إلى وطنه ودياره...!!

مهما كثر الكلام عن قضية فلسطين، فالحاجة تظل ملحة على الاستمرار فيه، وكلما لاحظنا مركز فلسطين ازددنا يقيناً بذلك، لأنّ هذا المركز يجعل هذه القضيةِ قضية الأمة العربية والبلاد العربية قاطبة، فهي نقطة الاتصال بين البلاد العربية الآسيوية والإفريقية... وباب البلاد العربية المفتوح على البحر الأبيض المتوسط، والمؤدي مباشرة إلى صميم بلاد العرب الشرقية والجنوبية والشمالية، إلى أن تصلَ إلى بقيةِ أنحاءِ الشام ثم العراق الشمالي من ناحية، والجنوبي والخليج العربي من ناحية، وشمال جزيرة العرب وجنوبها من ناحية...

ونكبة فلسطين باليهود أفظع وأغرب نكبة وقعت في التاريخ الحديث على أية أمة وبلد... لأنها غزو مسلح لاقتلاع شعب من أرضهِ التي عاش فيها ما لا يحصى من الأحقاب، وإحلال جماعات تحشد من أنحاءِ الأرض، مختلفة متناقضة في لغاتها ودمائها وعاداتها، وثقافاتها ضحلة، بزعم أن جيلاً يدين بدينهم كان فيها قبل ثلاثة آلاف عام ويزعم أنه شرد عنها منذ ألفي عام...!!

وما جرى في فلسطين والبلدان العربية الأخرى من اعتداءات صارخة، وانتهاك لحقوق الإنسان... يدفعنا دائماً إلى العودة للأسباب والمؤثرات التي دفعت بالصهاينة الغزاة بدعم من القوى الاستعمارية إلى ارتكاب أبشع سرقة في التاريخ الحديث، والاعتداء على شعب آمن فوق وطنهِ، وتشريده من قراه ومدنه وأراضيه ليعاني من الويلات والحرمان، وذلك بحجج واهية لا سندَ لها من التاريخ أو الحقيقة...!!

وكلما تعمقنا في البحث عن الأسبابِ الرئيسية حول الظروف والملابسات التي أدت إلى التفكير بإقامة وطن قومي لليهود، نجد أنّ وراء ذلك دعوات مشبوهة ومغرضة حاكتها الحركة الصهيونية، تلك الحركة الاستعمارية العنصرية التي جاءت من أجل زرع الشرّ وترسيخ العدوان في وطننا العربي الكبير، حيث قامت باحتلال فلسطين بالتعاون مع القوى الاستعمارية الكبرى... فلسطين البلد المقدس لدى كافة الأديان، والتي امتزجت حضارته بالحضارات المجاورة في أجزاء الوطن العربي الأخرى كالعراق ومصر، ولا سيّما أنّ فلسطين وباقي بلاد الشام تعتبر حلقة الاتصال بين الحضارتين القديمتين في العراق ومصر... وهنا كان تأثير حضارة فلسطين بالعناصر الحضارية والسياسية القوية المجاورة لها في مصر والعراق والأناضول...

رحلة في أعماق التاريخ...

منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريباً، أخذت جماعات سامية تنتقل من الجزيرة العربية إلى فلسطين وسورية ولبنان، وقد استقر الكنعانيون في فلسطين، والعموريون في سورية، والفينيقيون في لبنان... والكنعانيون من أكبر الموجات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، وكانت هجرتهم قبل الميلاد بأربعةِ آلاف سنة... وهم في الأصل عرب، فلفظة كنعان مشابهة لعدنان وقحطان وغسّان ويعتبرهم مؤرخو العرب القدامى من العرب البائدة، كما أنّ في ساحل عمان منطقة تعرف حالياً باسم "كنعان"... وقد استقرّ الكنعانيون في فلسطين وسيطروا عليها سيطرة تامة... حتى أنها عرفت باسمهم " أرض كنعان" أو "بلاد كنعان" كما ورد في العهد القديم من التوراة...

وفي الألف الثالث قبل الميلاد تقدمت فلسطين في طريق الحضارة... وقامت فيها المدن والحكومات، ونشطت الزراعة واهتم السكان الكنعانيون بالتجارة...

وبنى الكنعانيون مدناً كثيرة أهمها القدس "يبوس" وشكيم "نابلس" وجازر "أبو شوشة" ومجدو، وأريحا وبيسان وعكا ويافا... ولم يكن عدد مدنهم ليقل عن مائتي مدينة، وأقدم ذكر لها منقوش على أعمدة هيكل الكرنك في الأقصر "مصر العليا" حيث وردت أسماء مائة وتسع عشرة مدينة، وقد شهدَ القرن الثالث عشر قبل الميلاد تغييراً في

القوى السياسية في المنطقة، وفي هجرات شعوب جديدة إليها... ودخل فلسطين بالذات الفلسطينيون من كريت وغيرها من جزر بحر إيجة، وكان الاسم الأصلي لقبائلهم Pelest...

ولذا كان أول من أطلق عليهم اسم "الفلسطينيون" هو هيرودوت أبو التاريخ، وقد أعطوا البلاد اسمهم فعرفت حتى يومنا هذا بـ"فلسطين"... أما القسم الذي استولوا عليه، فكان السهل الساحلي الممتد من غزة جنوباً إلى ما بعد جبال الكرمل شمالاً، وكانت أعظم المدن الكنعانية التي استولوا عليها عسقلان وغزة وعفردن إلى الجنوب من الرملة وأسدود وجت "عراق المنشية" وقد ازدهرت هذه المدن في عهدهم إلى درجة كبيرة، وامتزج الفلسطينيون بالسكان الأصليين الكنعانيين، وأخذوا عنهم حتى لغتهم، فأصبحوا يتكلمونها بدلاً من لغتهم الأصلية...

وبين سنتي ألف وأربعمائة قبل الميلاد، وألف ومائتين قبل الميلاد دخلت فلسطين جماعات قبلية يطلق عليها الباحثون اسم "عبيرو" أو "العبرانيون" وهي جماعات مختلطة ذات أصول متنوعة سامية وغير سامية، وقد احتلَ العبرانيون أريحا سنة ١١٨٦ ق.م، وذبحوا كل من كان فيها ــ حتى البهائم ــ ونهبوا ما وصلت إليهِ أيديهم، وتم لهم الاستيلاء على بيت المقدس بعد نحو قرنين...

وفي الفترةِ التي كانوا يتعلمون منهم طرق الحياة المدنية والثقافة الدينية وأساليب الحكم ــ وقد تمّ الكثير من هذا في

عصر القضاة ١١٢٥ ق.م ـــ ١٠٢٥ ق.م ـــ ولوا شاؤول ملكاً عليهم، وقد دخلَ العبرانيون في دور التنظيم الصحيح لما تولى المملكة داوود ١٠١٦ ق.م ـــ ٩٧٦ ق.م ثم ابنه سليمان ٩٧٦ ق.م ـــ ٩٣٦ ق.م... فالأول قام بفتح القدس التي اتخذها عاصمة لملكه، بينما اهتم الثاني بالصناعة والتجارة... وملك سليمان يمثل أكبر اتساع للدولة العبرانية في فلسطين، وهي لم تشمل البلاد كلها، فقد ظلت الأجزاء الساحلية في أغلبها بيد الفلسطينيين... كما ظلّ الجزء الشمالي منها بيد الكنعانيين، وقد بنى سليمان الهيكل في القدس على طراز كنعاني وعلى أيدي صناع فينيقيين من صور...

ولا بدّ من التأكيد هنا على أنّ القسم الأكبر من سكان فلسطين، حتى في ذلك الوقت كان من الكنعانيين والفلسطينيين ثقافة وحضارة، ولم يختلط العبرانيون إلا قليلاً بسكان البلاد، وأولئك الذين اختلطوا منهم انتقلوا إلى الحياة الحضارية الأصلية، أيّ أنهم أصبحوا كنعانيين في الغالب...

وهذه المملكة مملكة داوود وسليمان لم تعمر سوى ثمانين عاماً... وانقسمت بعد موتِ سليمان إلى مملكتين؛ مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة " نابلس" ومملكة يهودا وعاصمتها "أورشليم" القدس... وقد اندمجت مملكة إسرائيل في إمبراطورية آشور عام ٧٢١ ق.م، ثم أغارَ بختنصر ملك الكلدانيين في بابل التي حلت محل آشور على مملكة يهودا وضمها إلى ملكه عام ٥٩٧ ق.م فاستولى على

أورشليم وأحرقها، وهدمَ هيكل سليمان، وأخذ مَلِكهم وخمسين ألفاً من اليهود أسرى إلى بابل والعراق، وسميت هذه الفترة في تاريخ اليهود "بالسبي البابلي" ولكن كورش الفارسي هزم "نبو نيدس" آخر ملوك فارس عام ٥٣٨ ق.م فيسمح لسبايا اليهود بالعودة إلى ديارهم، فيعود بعضهم ويفضل غالبيتهم البقاء في المنفى، وعندما عاد القائد الروماني بطليموس إلى مصر بعد غزو فلسطين، رافقه عدد كبير من اليهود، واتخذوا من الإسكندرية موطناً لهم حرصاً على ممتلكاتهم وثرواتهم التي كسبوها في بابل، وقد قام العدد القليل الذي عاد منهم من الأسر البابلي بإعادة بناء هيكل سليمان في أورشليم...

وظلت فلسطين تحت الحكم الفارسي حتى غزاها الاسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م ثم احتلها الرومان حوالي عام ٦٣ ق.م... وقد حاولَ اليهود استعادة نفوذهم السياسي في البلاد في عهد الحكم الروماني ولكن " تيتوس" الروماني لقنهم درساً عنيفاً عام ٧٠م واحتل القدس ودمرها وهدم الهيكل وقتل معظم اليهود، وفرّ من نجا منهم إلى مصر وسورية...

وقد قام الحاكم الروماني "هادريان" بعد قتل اليهود بتدمير القدس... وبنى مكانها مدينة جديدة حرّم على اليهود دخولها، وفرّ من نجا منهم إلى خارج فلسطين، وكانت هذه الواقعة هي نهاية اليهود في فلسطين فلم يظهر لهم بعد ذلك في فلسطين أي نشاط سياسي أو قومي...

واستمرّ الحكم الروماني والبيزنطي لفلسطين أكثر من ستة قرون... وفي عام ٦٣٦م أتمّ العرب المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحريرها من حكم الروم، لتعود عربية لحماً ودماً، وتدفقت عليها القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية والعراق وسورية، وتعرب سكانها من سلالات الكنعانيين واعتنقوا الإسلام طواعية، وأصبحت فلسطين عربية لغة وديناً... ولم يكن بفلسطين عند الفتح العربي من اليهود إلا عدد ضئيل، فاليهودية كانت قد انتهت من فلسطين منذ أن قام "هارديان" الحاكم الروماني عام ١٣٥م بتدمير القدس نهائياً وقتل اليهود...

وعندما تعرضت فلسطين للهجمات الصليبية قتل من بقي من اليهود حين اعتصموا ببيت المقدس، ولم يبق منهم إلا عدد قليل...

لكن القائد صلاح الدين الأيوبي انتصر على موجاتِ الصليبيين عام ١١٨٧م، وحرر بيت المقدس، وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين حيث عاشوا يتمتعون بسماحة الإسلام أيام الحكم الأيوبي والمملوكي لفلسطين، وفي عام ١٤٥٢م أصبحت فلسطين في نطاق الخلافة العثمانية الإسلامية، وأصبحت جزءاً من ولايتي دمشق وبيروت العربيتين، وظلت هكذا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، ومنذ ذلك الحين وقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني حتى عام ١٩٤٨م إلى أن سلمتها بريطانيا بمساعدة أمريكا للعصابات الصهيونية، حيث قاموا

بطرد أهلها الفلسطينيين العرب منها بعد أن نفذوا فيهم سلاح القتل والتذبيح...

وتشردوا في بلاد الله الواسعة، وقد أقامَ الصهاينة دولتهم على أرض فلسطين، وأطلقوا عليها اسم "إسرائيل"...

هذا العرض الموجز والسريع يؤكد لنا أنّ اليهود ليس لهم أيّ موضع قدم في فلسطين، حيث أنّ أغلبية سكان فلسطين الأصليين كانوا من الكنعانيين، وهؤلاء هم الذين وضعوا أسس الحضارة والتنظيم في البلاد...

وقد دخلَ العبرانيون البلاد في القرن الثالث عشر ق.م، وكانت لهم مملكة دامت نحو ثمانين عاماً فقط... لكنهم لم يكونوا في أي وقت من تاريخ البلاد أكثرية السكان، كما أنّ المملكة لم تشمل فلسطين بأجمعها...

كان اختلاط العبرانيين بالسكان قليلاً، وظلوا بسبب شعورهم الديني والعنصري جماعة منفصلة، وقد ترتبَ على ذلك أن أدى النفي والهجرة من فلسطين إلى تقليص أعدادهم فيها على مرّ السنين...

امتزج الفلسطينيون الذين هبطوا فلسطين في القرن الثاني عشر نهائياً بسكانها الكنعانيين، وأصبحوا جزءاً أصيلاً من أهل البلاد...

دخلت فلسطين فئات أخرى من الشعوب التي امتزجت بالسكان وأصبحت جزءاً منهم قبل الفتح العربي، ولعلّ أهم الفئات "الآدميون من جنوب شرق الأردن"، والأنباط والغساسنة وهم عرب

كانت لهم مع فلسطين تجـــارات وعلاقـــات ومـــصاهرة وهجـــــرة إليهـــا... يضاف إلى ذلك أنّ العرب كانوا يقيمـــون في النقـــب وفي الجزء الجنوبي من سهل فلسطين الساحلي قبل القرن السابع للميلاد، بل قد ذكر بعض الباحثين أنّ العرب استقروا في قيسارية علـــى الـــسهل الساحلي قبل الفتح بزمن...

وهؤلاء السكان ورثة الكنعانيين والفلـــسطينيين والآدمـــيين، والعرب هم الذين تكون منهم شعب فلسطين حتى القـــرن الـــسادس للميلاد تقريباً...

وهم اللذين كانوا قد تنصروا آنذاك، وحافظوا علـــى أصـــول الحضارة هناك، وطوروها فنياً وروحياً...

إنّ ما تمّ لليهود وهم العبرانيون أصلاً بين دخولهم فلسطين أولاً ونفيهم غير مرة، وعودهم أيام كورش وبناء الهيكل مـــن جديـــد، إنّ كـــل هذا كان له الأثر في تطور أفكارهم الدينية، ووضوح الوحدانيـــة عندهم، لكن من الجدير بالذكر أنّ الكثير مما يمكن أن يعزى إلى اليهود فيما بعد لم يتم في فلسطين، وإنما في الأقطار المختلفة التي توزعوا فيها، ففي التلمود وهو الكتاب الديني الأول بعد أسفار العهد القـــديم أثـــر بابلي، وفي الأدب الذي نشأ فيما بعد تبدو بوضوح آثار الشتات وعدم الامتزاج...

الصهيونية...

الصهيونية فكرة استعمارية عدوانية ظهرت في أوروبا في عصر صعود حركة الاستعمار العالمي والاستيطان الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتبلورت في حركة سياسية منظمة في أواخر ذلك القرن، قامت الصهيونية على مزج الدين بالقومية محولةٍ اليهودية من مجرد ديانة سماوية إلى رابطة سياسية دينية، تهدف إلى جمع يهود العالم فوق أرض شعب آخر في دولة يهودية خاصة بهم... وفي بحثهم عن الأرض المطلوبة للاستيطان الصهيوني لم يقتصر تفكير بعض قادة الصهيونية على فلسطين وحدها، بل شمل ولو بتركيز أقل بلاداً عديدة أخرى في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية... ولكن الحركة الصهيونية عادت فحصرت هدفها الاستعماري الاستيطاني في فلسطين وجوارها، بدعوى أنّ فلسطين هي "أرض الميعاد التي وعدَ الله بها شعبهُ المختار" ولكن أيّ نظرة موضوعية لواقع الحال تؤكد على هذه الحقائق:

١- ان اليهود القدامى كانوا مجرد قوم طارئين على فلسطين، وان تدفق الهجرات إليها وكثرتها ذات أصول عربية، بدأ قبل مجيء اليهود بزمن طويل...

٢- وان هذهِ الهجرات استمرت متواصلة بعد ذلك، إلى أن رسخ الفتح العربي الإسلامي طابع فلسطين نهائياً، وجعلها بلداً صريحَ العروبة أرضاً ولغة وتاريخاً وثقافة ومصيراً...

٣- وان صلة اليهود المعاصرين بفلسطين، وكثير منهم ينحدر من أقوام اعتنقت الديانة اليهودية في فترات لاحقة خارج فلسطين هي مجرد صلة دينية وروحية، كتلك التي تربط سائر مسيحيي العالم ومسلميه بها...

وقد استغلت الحركة الصهيونية في نشوئها وتطورها عاملين رئيسيين هما: الأوضاع السيئة لليهود في بعض دول شرق أوروبا والمصالح المتعاظمة والمتنافسة لحركة الاستعمار العالمي...

فقد كان اليهود يعيشون أوضاعاً سيئة، ويعانون اضطهاداً شديداً في بعض بلاد شرق أوروبا وروسيا القيصرية، بسبب عوامل متعددة ومتنوعة، منها مثلاً النفور الديني المتوارث عبر اعتبار اليهود مسؤولين عن صلب السيد المسيح، والتعاليم الدينية المعلقة لأحبار اليهود، التي كانت تكرس فكرة "النقاء اليهودي" وتحرم زواج اليهود بغيرهم، مغذية بذلك نزعة الانعزال والتعصب، ثم تضارب المصالح الاقتصادية بين بعض شرائح من المجتمعات الأوروبية وفئات معينة من اليهود، بحكم الموقع الطبقي الذي اتخذته هذه الفئات بسبب تعاطيها مهنة الربا تاريخياً، ونتيجة التبدلات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية التي أصابت بنية المجتمعات الأوروبية بعد انهيار النظام الإقطاعي...

وقد قدّمت الصهيونية نفسها كحل جذري عالمي شامل لهذهِ الأوضاع التي يعيشها اليهود في بعض بلادِ أوروبا، وذلك عن طريق تحويل الديانةِ اليهودية إلى رابطة قومية تتجسد في وطن يهودي خاص

ودولة يهودية خاصة... وكانت هذه الدعوة غريبة تماماً في بدئها عن الأغلبية العظمى من يهود العالم، فقد قدمت مبادئ التحرر التي أطلقتها الثورة الفرنسية حلاً معقولاً للمسألةِ اليهودية، بإلغائها التمييز العنصري والديني والاجتماعي، وفتحها الباب واسعاً أمام اندماج اليهود في المجتمعاتِ الغربية على قاعدة المواطنية والمساواة...

ووجدَ هذا الحل قبولاً لدى أغلبيةِ اليهود، ولكن الصهيونية رفضت فكرة اندماج اليهود كمواطنين في المجتمعات التي يعيشون فيها... وطرحت في مقابلها فكرة القومية اليهودية الواحدة، ونظراً إلى افتقار اليهود إلى عناصر هذه الوحدة القومية، أي وحدة اللغة والتاريخ والأرض بحكم انتماءاتهم التاريخية المتعددة إلى مجتمعاتٍ وبيئاتٍ مختلفة، لم تجد الصهيونية أمامها سبيلاً للنمو إلا سبيل تغذية نزعة التعصب اليهودي والرقي العنصري، وهكذا طرحت الصهيونية أساساً للوحدة القومية المفقودة، وبدلاً عنها مجموعة من المرتكزات العنصرية الممثلة بفكرة "شعب الله المختار" و "العنصر اليهودي الواحد النقي" والرسالة اليهودية، بالإضافة إلى تعميق نزعات الانغلاق الديني، وتماثل هذه الأفكار في جوهرها تلك المنطلقات العنصرية التي حملتها حركات الاستعمار الأوروبية إجمالاً في القرن التاسع عشر، مثل نظريات التفوق العرقي، ورسالة الرجل الأبيض، والتي جاء الاستعمار الاستيطاني الأوروبي في إفريقيا ثم الحركة النازية نموذجاً مجسماً لها...

وهكذا نجد أنّ الصهيونية التي ادعت أنها جاءت رداً على التمييز الديني الاجتماعي ضد اليهود في بعض المجتمعات الأوروبية، تحولت هي نفسها إلى قوة تكرس هذا الوضع وتعمقه عن طريق تغذية نزعة الانغلاق العرقي والتعصب العنصري بين اليهود... كما أنها ألقت الفرد اليهودي وسط دوامة ازدواج الولاء القومي، أي توزع ولائهِ بين المجتمع الذي يعيش فيهِ كمواطن وبين الصهيونية ومشاريعها وسياساتها خارج حدود مجتمعه...

وكان العامل الثاني الذي ولدت الحركة الصهيونية وترعرعت في ظلهِ، هو المصالح المتعاظمة والمتنافسة لحركة الاستعمار العالمي... فقد شهدَ القرنان الثامن عشر والتاسع عشر صعود حركة الاستعمار الأوروبي العالمي، التي تمت بشكل متسارع في أثر الثورةِ الصناعية في أوروبا... وبدأت تسابقاً محموماً للاستيلاء على أراضي شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وثرواتها وأسواقها، وكان من أفظع ظواهر هذه الحركة ظاهرة الاستعمار الاستيطاني واندفاعه لاغتصابِ أجزاءٍ من إفريقيا، وتوطين المستعمرين البيض الغرباء فيها... ولم يكن من قبيل المصادفة أن يأتي نشوء الحركة الصهيونية ونموها مترافقين مع ذلك العصر، ذلك بأنّ الحركة الصهيونية كانت بدورها أحد نماذج حركة الاستعمار الاستيطاني الأوروبي هذه وإحدى موجاتها لاغتصاب أجزاء من فلسطين وجوارها، وتوطين المستعمرين اليهود الأوروبيين فيها، وكان بعض الزعماء الصهيونيين على اتصال ببعض رواد

الاستعمار الاستيطاني الأوروبي آنذاك من أمثال سيسل رودس البريطاني وغيره...

وهكذا ارتبطت الصهيونية بالاستعمار العالمي في علاقةٍ عضوية وثيقة، رافقت تطور القضية العربية بعامة والقضية الفلسطينية بخاصة منذ نشوئها حتى يومنا هذا...

خلفيات المشروع الصهيوني...

يمكن تلخيص الأفكار الرئيسية التي مهدت للحركة الصهيونية بما يلي:

١- دعا موشيه هس (١٨١٢م ــ ١٨٧٥م) وهو يهودي ألماني، في كتابيه:ــ "روما والقدس" ١٨٦٢م... "ومشروع استعمار الأرض المقدسة " ١٨٦٧م، إلى ما أسماه "القومية اليهودية" ورأى أنّ حل المسألة اليهودية لا يتم باندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وإنما بالاقتناع بوجود قومية يهودية أساسها الدين والعرق، وبناء على ذلك طالب بتأسيس مستعمرات يهودية "تمتد من السويس إلى القدس، ومن ضفتي الأردن إلى ساحل البحر المتوسط" وتكون تمهيدا للدولة اليهودية...

٢- دعا ليوليف بنسكر (١٨٢١م ــ ١٨٩١م) وهو يهودي روسي في كتابه "التحرر الذاتي" ١٨٨٢م إلى نبذ فكرة انصهار اليهود في الشعوب التي يعيشون وسطها، ورأى أنّ التحرر الحقيقي يكمن في خلق مركز قومي يهودي يعيش فيه اليهود كشعب له كيانه المستقل

ووطنه الخاص، ولم يطالب بنسكر بأن تكون فلسطين بالضرورة هذا الوطن، كما فعل هس من قبل، وإنما طالب "بأرض في أي مكان"... وعلى هذا الأساس دعا إلى تأسيس شركة من كبار الممولين، تتولى شراء رقعةِ الأرض المطلوبة "التي قد تكون زاوية صغيرة في أمريكا الشمالية، أو ولاية ذات سيادة ضمن الحدود الآسيوية التركية"... وفي سنة ١٨٨٤م انتخب ليوبنسكر رئيساً لجمعية "أحباء صهيون" الروسية، التي لعبت دوراً في تشجيع فكرة الاستيطان الصهيوني في فلسطين...

٣- دعا آحاد هاعام واسمه الحقيقي آشر غينسبرغ (١٨٥٦م ــ ١٩٢٧م) وهو يهودي روسي إلى إحياء اللغة العبرية والثقافة العبرية، واتباع برنامج تربوي خلقي روحي يشكل قاعدة لاستيطان يهودي أكثر وعياً وتضحية...

وقد عارضَ برنامج "جمعية أحباء صهيون" في الاستيطان الفوري في فلسطين، كما عارضَ الصهيونية السياسية التي نادى بها ثيودور هرتسل معتبراً أنها قد ابتعدت عن "القيم اليهودية" وعن العمل الثقافي كأساس لتهيئةِ الشعب للفكرة الصهيونية، وكان يرى أنّ الدولة اليهودية التي سيقيمها اليهود الراغبون في الهجرة إلى فلسطين، يجب أن تكون بمثابةِ "مركز روحي لليهود في الشتات"، وأن تشكل بمجتمعها اليهودي الخالص والمستقل طريقاً لتعميق عاطفةِ الانتماء إلى اليهودية لدى جميع يهود العالم داخل فلسطين وخارجها...

الخلفيــــات العمليــــة...

أسس فريق من اليهود الروس بعد سنة ١٨٧٠م جمعية "حب صهيون" وقد عرفت فيما بعد باسم "أحباء صهيون" التي كانت بمثابة حلقة وصل بين طلائع الاتجاهات الصهيونية في أواسط القرن التاسع عشر، وبداية الصهيونية السياسية التي تبلورت على يد هرتسل في أواخر القرن...

دعت هذه الجمعية إلى حل المسألةِ اليهوديةِ في روسيا وشرق أوروبا، عن طريق "عودةِ اليهود إلى أرض الميعاد" والاستيطان فيها.. وإحياءِ اللغةِ العبرية والقومية اليهودية أثر موجة العنف التي تعرضَ لها اليهود بعد حادثِ اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني سنة ١٨٨١م، حيث اعتبرت السلطات الروسية بعض اليهود مسؤولين عن الاغتيال...

تركز نشاط جمعية "أحباء صهيون" في دراسةِ الوسائل العلمية لإيصال المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وإنشاء المستعمرات الزراعية فيها، وقد خطا أتباع هذه الحركةِ خطوة في اتجاه مزيد من التنظيم... حين عقدوا سنة ١٨٨٤م مؤتمراً في مدينة كانوفيتر بألمانيا برئاسة ليوبنسكر، ضمّ عدداً من مندوبي مراكز هذه الجمعية وكان من أهم مقرراته: إنشاء هيئة لتشجيع العمل الزراعي بين اليهود ودعم

الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والتبرع بالمال للمستعمرات اليهودية...

وقد نجمَ عن هذهِ الحركة إلى وصول بضع مئات من اليهود المنتمين إلى "أحباء صهيون" إلى فلسطين وأسسوا بعض المستعمرات...

في هذا الوقت تمّ على أيدي فريق من اليهود تأسيس حركة عرفت باسم "بيلو"، "رجوع آل يعقوب إلى فلسطين"، وذلك بعد حوادث الاضطهاد التي تلت اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني سنة ١٨٨١م، انتشرت بين الطلاب اليهود في الجامعات والمدارس الثانوية... دعت هذه الحركة إلى تركيز العمل على الهجرة السريعة إلى فلسطين والاستيطان، وبالفعل فقد تمّ وصول بعض أفرادها إلى فلسطين في سنتي ١٨٨٢م و ١٨٨٤م وما بعد...

وكان هناك نشاط يهودي اتخذ طابع العمل الخيري الديني العام وتوجه إلى الاهتمام بأوضاع اليهودية الاجتماعية والاقتصادية... وبالهجرةِ والاستيطان خارج نطاق الصهيونية السياسية، وفي إطار هذا النشاط اليهودي تأسست جمعية الاتحاد الإسرائيلي العالمي "الأليانس" سنة ١٨٦٠م في باريس، وحددت أهدافها بـ:ـ العمل من أجل تحرير اليهود، وتقدمهم الفكري، ومساعدة اليهود المضطهدين وتشجيع المنشورات لخدمةِ هذين الغرضين... وكان من أكبر المتبرعين لها الممول اليهودي البارون موريس دي هيرش، الذي زودها بمبالغ كبيرة لإقامةِ

المدارس الخاصة بتعليم اليهود، وقد أنشأت هذه الجمعية عدة مدارس يهودية في بعض مدن فلسطين كان منها المدارس الخاصة الزراعية "مكفية يسرائيل" عام ١٨٧٠م...

وفي سنة ١٨٩١م تأسست "الجمعية اليهودية للاستيطان" بإشراف البارون دي هيرتش لمساعدة اليهود المعوزين على الهجرةِ إلى بلاد أخرى، وإقامة المستعمرات الزراعية، وبدء حياة جديدة، وقد تركز نشاط هذه الجمعية في الأرجنتين بصورة خاصة، ولكنها قدمت منذ سنة ١٨٩٦م مساعدات مالية لدعم عدد من المستعمرات اليهودية في فلسطين... وقام الممول اليهودي الفرنسي "موند دي روتشيلد" بدور مهم في عمليةِ الاستيطان اليهودي في فلسطين، وأمدّ المستعمرات اليهودية الأولى بدعم مالي كبير، وفي سنة ١٨٩٩م ونتيجة خلافات مع أتباع "أحباء صهيون" وثيودور هرتسل، نقل روتشيلد المستعمرات التي كان يرعاها في فلسطين إلى إدارة "الجمعية اليهودية للاستيطان"...

ومن أجل إعطاء صورة واضحة عن النشاط الصهيوني قبل مؤتمر بازل، وهو أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م نسجل هذه الملاحظات:

١- كانت الفكرة الصهيونية أقرب إلى طابع الآراء الفردية الرومانسية المبعثرة منها إلى الفكرة السياسية المتبلورة والموحدة المنطلقات

والأهداف، وكانت أغلبية اليهود الساحقةِ تعارض هذه الفكرة الغربية...

٢- كان النشاط الصهيوني العملي ضعيفاً محدود الأثر، فالجمعيات والتنظيمات الصهيونية لم تكن تمثل إلا قلة ضئيلة من يهود العالم... وكان اتجاه تيار الهجرة الصهيوني منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى في اتجاه أمريكا التي استوعبت ٨٥٪ وفي اتجاه أوروبا الغربية التي استوعبت ١٣ ٪ منهم، وبينما قدر عدد اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا وأوروبا الغربية في تلك الفترة بمليونين ونصف المليون مهاجر، فإنّ عدد اليهود في فلسطين حتى نهاية القرن التاسع عشر كان ٥٠ ألفاً فقط ارتفع إلى ٨٥ ألفاً عشية الحربِ العالميةِ الأولى، ثم انخفض إلى ٥٦ ألفاً سنة ١٩١٨م وأما المستعمرات اليهودية التي أنشئت في فلسطين في القرن التاسع عشر، فقد كان يغلب عليها ــ باستثناء عدد قليل ــ الطابع الخيري الديني أكثر من الطابع السياسي والقومي...

٣- كان التوجه الكلي نحو الاستعمار العالمي صفة أساسية رافقت نشوءَ الصهيونيةِ منذ هذه المرحلة المبكرة، وواكبتها في مختلف مراحل عملها، مروراً بدبلوماسية مؤسس الصهيونية السياسية المنظمة ثيودور هرتسل، ودبلوماسية الزعماء الصهيونيين الذين خلفوه، وانتهاءً بسياسات إسرائيل منذ قيامها حتى يومنا هذا...

وقد حفلَ القرن التاسع عشر بالعديد من الكتابات والدعوات والمشاريع التي لا مجال لإيرادها هنا، والتي تدورُ حول أهميةِ خلق وجود سياسي يهودي في فلسطين وجوارها، يكون مرتبطاً بالمصالح الاستعمارية النامية والمتنافسة للدول الأوروبية الكبرى في هذه المنطقة، ويمكن من تقسيم المنطقة وتجزئتها في هذا الإطار السياسي الدولي، وفي هذه المرحلة من صعود الاستعمار الأوروبي العالمي حققت الفكرة الصهيونية المبتدئة المتعثرة المعزولة نقلة أساسية مهمة تمثلت بنشوء الصهيونية السياسية المنظمة على يدي الزعيم اليهودي الهنغاري الأصل ثيودور هرتسل، ثم بدخول المنظمة الصهيونية العالمية، قلب المخطط الاستعماري الأوروبي، وهذا العامل كان العامل الحاسم وراء التقدم السريع الذي حققته كما سنرى...

مؤسس الصهيونية الحديثة...

لقد ظلت الحركة الصهيونية أشبه بجمعيةٍ خيرية يهودية، إلى أن ظهر "ثيودور هرتسل" الصحفي ـــ المولود في بودابست عاصمة المجر وأمضى معظم حياته في فيينا ويعتبر مؤسس الصهيونية الحديثة... وواضع الأسس العقائدية للصهيونية السياسية، نشر في سنة ١٨٩٦م كتابه "دولة اليهود" الذي ضمنه آراءه في المسألة اليهودية، والحلول السياسية التي يرتئيها لها، فهو يرى أنّ السبيل الوحيد لحل المسألة

اليهودية هو جعلها قضية سياسية تبحث جدياً في الأوساط اليهودية والمحافل الدولية، وكان من رأي هرتسل في كتابه "دولة اليهود" أو "الدولة الصهيونية" أنّ اليهود أينما حلوا ومهما يبلغ ولاؤهم للدولة التي يعيشون في أراضيها، ومهما عظمت خدماتهم لمواطنيهم، لن يتركهم هؤلاء يعيشون في سلام، وذكر أيضاً أنّ المشكلة اليهودية قائمة في كل بلد يعيش فيه عدد كبير منهم، وبما أنهم يهاجرون إلى الأقطار التي لا يلقون الضيم والاضطهاد، فإنهم يحملون معهم أينما ذهبوا النزعة التي تثير أسباب العداء ضد الأجناس السامية، وقد يجوز أن يندمج اليهود في الشعوب التي يحيون بين ظهرانيهم ولو أنهم تركوا في سلام مدى جيلين، ولكن الفرص لا تتوافر لهم...

فالمشكلة اليهودية، والحالة هذه ليست بدينية ولا هي باجتماعية، وإنما هي مشكلة قومية لا يمكن لها إذا اعتبرت مسألة سياسية عالمية يتوافر على دراستها مندوبو الأمم المتحضرة حول مائدة مستديرة، والحل الموفق الذي يراهُ هو أن يمنحَ اليهود سيادة على رقعةٍ متسعةٍ في أرض معمورة تكفي غلتها المطالب الشرعية لأمة محترمة، واقترح هرتسل تأسيس وكالة يهودية تتولى الأعمال التحضيرية الخاصة بالتنظيم والمفاوضات السياسية، وشركة يهودية أخرى تكرس جهودها لمختلف المسائل المالية والاقتصادية، وقد اختتم دراسته قائلاً:ـــ "إنّ الدولة اليهودية لازمة للعالم فيجب أن تنشأ"...

ولم يحدد هرتسل البقعة التي يستوطنها اليهود، وإنما ترك هذا الاختيار للرأي العام اليهودي، إما الأرجنتين أو إفريقيا أو فلسطين...

وتمّ عقد أول مؤتمر صهيوني بمدينة "بازل" بسويسرا من ٢٣ – ٢٥ من آب عام ١٨٩٧م... واستمر ثلاثة أيام، وشهده ١٩٦ يهودياً يمثلون عدداً كبيراً من الهيئات اليهودية العالمية، وقد وضع في هذا المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية...

كما وضعت أسس المنظمة اليهودية، وتلخصت توصيات المؤتمر الصهيوني الأول في عدة توصيات...

ـ تشجيع الاستعمار اليهودي في فلسطين، بطريقة منظمة يعترف بها القانون العام...

ـ تنظيم الحركة اليهودية واتحاد الهيئات المتفرقة في شتى أنحاء العالم...

ـ إيقاظ الوعي اليهودي...

ـ القيام بمساعٍ لدى مختلف الحكومات للحصول على موافقتها على أهدافِ الحركة الصهيونية...

ومن الملاحظ أنّ المؤتمر قد تجنب ذكر كلمة "دولة" وأحل محلها عبارة "وطن" لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام، حتى يتم كسب عطف اليهود، والدول الأخرى وتأييدها...

وتنفيذاً لتوصيات المؤتمر تأسست الشركةِ اليهودية لدولة اليهود، واعتبرت الأداة المركزية لجميع الهيئات اليهودية، وأصبح صهيونياً من يعتنق المبادئ التي وضعت في مؤتمر بازل ويدفع

اكتتاباً سنوياً قدره شلن واحد للمساهمة في نفقات الهيئة التنفيذية... "وهذا الشلن يعتبر رمزاً فقط، ولكن عشرات الآلاف من اليهود كانوا يدفعون الآلاف من الدولارات أو الإسترليني... والملايين كما فعلت أسرة روتشيلد"...

وانتهت أعمالُ المؤتمر بنشيد الأمل الذي أصبح فيما بعد النشيد الوطني اليهودي، ولما عادَ هرتسل إلى فيينا كتب في صحيفته يقول:ـ " لو طلب إليّ أن ألخص أعمال مؤتمر بازل فإني أقول بل أنادي على رؤوس الأشهاد ـ إنني أسست الدولة اليهودية "، وقد يثير هذا القول عاصفة من الضحك هنا وهناك، ولكن العالم قد يشهد بعد خمسة أعوام، أو بعد خمسين عاماً ما في ذلك قيام الدولة اليهودية بحسب إرادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة "...

وقد عقدت بعد ذلك المؤتمرات الصهيونية المتواصلة من أجل العمل على احتلال فلسطين، واجتمعَ الصهيونيون بمساعدةِ أموال اليهود في إنجلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر عام في بازل، المدينة التاريخية الجميلة الواقعة على نهر الراين بسويسرا في ٢٩ آب سنة ١٨٩٧م، لبحث إقامةِ وطنهم القومي وجمع شملهم ورسم سياسة عامة لتوحيد جهودهم، ونشر الدعوة بينهم وإحياء ثقافتهم العبرية، وتعاقبت مؤتمراتهم، حيث عقدت المنظمة الصهيونية العالمية بين مؤتمر بازل ١٨٩٧م وسنة ١٩١٣م عشرة مؤتمرات صهيونية، تم خلالها تشكيل عدد من الهيئاتِ التنظيميةِ والمالية لتنفيذ برنامج الاستيطان

الصهيوني في فلسطين، عن طريق اتباع الوسائل العملية الفعالة لإنشاءِ مستعمرات زراعية في فلسطين، تأوي عمال الزراعة من اليهودِ بهجرتهم إليها، وتنظيم جماعاتِ المهاجرين عن طريق منشآت تضطلع بهذا العبء، مع جمع الإعانات والاشتراكات المنتظمة لها، وتقويةِ الروح القومية الصهيونية بين اليهود، والاستفادة من تنافس الدول الكبرى وطلب مساعدتها لتحقيق الغرض الأساسي من الصهيونية، وإنشاء صندوق قومي لليهود لشراء الأراضي في فلسطين، وتأسيس بنك كذلك...

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، كانت الحركة الصهيونية قد خطت عدة خطوات على طريق استكمال مؤسساتها التنظيمية والسياسية والمالية، ووضع الأسس الأولى للاستيطان الصهيوني في فلسطين...

ولكن هذه الخطوات على أهميتها لا تزال أضيق كثيراً من أن تشكل إنجازاً حاسماً بفضل النقاط الأربع لبرنامج بازل الهادف إلى إقامة الدولة الصهيونية... وقد أدركت الحركة الصهيونية إزاء هذا الوضع أنّ الدولة اليهودية ستبقى مجرد حلم في أذهان بعض قادتها، ما لم تحقق نجاحاً سريعاً في صدد النقطة الرابعة من برنامج بازل... وتحصل على دعم قوة استعمارية كبرى تنتشلها من التبعثر الذي تتخبط فيه، وسارَ العملُ الصهيوني لتحقيق هذا الهدف في اتجاهين؛ فقد توجهَ بعضُ الزعماءِ الصهيونيين الذين كانوا يرون أنّ ألمانيا قد تربح الحرب، إلى مفاوضتها للحصول على تصريح يؤيد الأطماع الصهيونية في فلسطين،

بينما أخذ زعماء صهيونيون آخرون، كانوا يعتبرون بريطانيا الحليف الأصلح للصهيونية، يوثقون صلاتهم بها باعتبارها القوة الاستعمارية الكبرى المؤهلة، بحكم وزنها ومصالحها لأن تتبنى الهدفَ الصهيوني، وجاءت تطورات الحرب العالمية الأولى لترجح كفة الفريق الثاني، وتولى حاييم وايزمن الزعيم اليهودي الصهيوني الروسي الأصل، قيادة العمل الصهيوني في هذا الاتجاه، وكان وايزمن قد أجرى اتصالاً مبكراً لهذه الغاية سنة ١٩٠٦م بالسياسي البريطاني آرثر جيمس بلفور، رئيس الوزارة البريطانية حينذاك، وهو صاحب التصريح المشهور باسمه فيما بعد سنة ١٩١٧م، ولما طرح اندلاع الحرب العالمية الأولى مصير أملاك

الإمبراطورية العثمانية، ومن ضمنها ــ فلسطين ــ على بساط البحث، سارع الزعماء الصهيونيين المقيمون في بريطانيا إلى تبيان أهمية قيام دولة صهيونية في فلسطين بالنسبة إلى المصالح الاستراتيجية للإمبراطورية البريطانية، وكتب وايزمن إلى رئيس تحرير صحيفة "المانشستر غارديان" يشرح هذه النقطة بقوله:ــ "يمكننا أن نقول بمنتهى التفكير المنطقي الآن، أنه إذا ما وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني، وإذا ما شجعت بريطانيا الاستيطان اليهودي هناك كمحمية بريطانية، فإنّ في استطاعتنا أن نحشدَ خلال عشرين عاماً أو ثلاثين عاماً، مليون يهودي وربما أكثر يشكلون حرساً فعالاً لقناة السويس"...

وكان نتيجة تلك الاتصالات والمفاوضات صدور تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني بالنص التالي الذي أرسله آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك، إلى اللورد ليونيل والتر روتشيلد أحد زعماء اليهود الصهيونيين وكبار مموليها في بريطانيا...

عزيزي اللورد روتشلد:

"يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومةِ جلالة الملك التصريح التالي الذي ينطوي على العطفِ على أماني اليهود الصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته...

إنّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطفِ إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنِه أن يغير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي تتمتع به اليهود في البلاد الأخرى"...

ومن الجدير بالذكر أنّ نص تصريح بلفور كان قد عرض على الرئيس الأمريكي "ولسون"، ووافق على محتواه قبل نشره، ووافقت عليه فرنسا وإيطاليا رسمياً سنة ١٩١٨م، ثم تبعها الرئيس الأمريكي "ولسون" رسمياً وعلنياً سنة ١٩١٩م وكذلك اليابان... وفي سنة ١٩٢٠م وافق عليه مؤتمر سان ريمو الذي عقده الحلفاء لوضع الخريطة السياسية الجديدة لما بعد الحرب، وضمنه قراره بانتداب بريطانيا على فلسطين، كما ضمن

المادة ٩٥ من معاهدة سيفر التي وضعها الحلفاء مع الحكومة العثمانية في السنة نفسها... وفي سنة ١٩٢٢م وافقت عليه عصبة الأمم، وضمن صك الانتداب البريطاني على فلسطين...

الهجرة اليهودية إلى فلسطين...

ويهمنا هنا أن نتوقفَ عند موضوع أساسي، فمن أجل إغراق فلسطين باليهود من جميع أرجاء العالم، فقد اتفق الصهاينة مع الدول الاستعمارية على عملية تهجير اليهود من سائر أقطار العالم إلى فلسطين، وبالمقابل العمل على تهجير أبناء فلسطين من بلدهم...

ومن أجل ضمان تهجير اليهود إلى فلسطين، عمدت الصهيونية على اختلاق المشاكل في البلدان التي يقيم فيها اليهود... وقد جاءَ في كتاب "الإسلام وفلسطين" تأليف الأستاذ رفيق شاكر النتشة فكرة مجملة عن حركةِ الهجرة اليهودية من الأقطار المختلفة إلى فلسطين...

أقدمت فئة من "الفوضويين ــ القدميين" على اغتيال قيصر روسيا عام ١٨٨١م، وكان بينهم بعض اليهود، مما تسبب في موجةٍ من الاضطهاد لهم كان من جرائها هجرة عدد كبير منهم إلى أوروبا، كما اتجهَ قسم صغير منهم إلى فلسطين...

قدم إلى فلسطين ما بين ٣٥ ألف و٤٥ ألف يهودي خلال الفترة من ١٩٠٣ ــ ١٩١٣م أكثرهم من روسيا، بالرغم من قانون

الحظر الذي فرضته السلطات العثمانية سنة ١٨٨٢م، وذلك لأنّ أحمد رشيد بك الذي عين عام ١٩٠٤م متصرفاً جديداً للقدس، قد أيّد الهجرة اليهودية علانية، وقد أبعدَ هذا المتصرف نتيجة للضغوط العربية وتوقفت الهجرة، إلى أن وصلت جمعية "تركيا الفتاة" إلى الحكم عام ١٩٠٨م التي كان بين أعضائها عدد كبير من اليهود، فحصل اليهود على تأييد غير رسمي أدى إلى تدفق الهجرة إلى فلسطين، فارتفعَ عدد اليهود من ٣٣ ألف عام ١٨٨٠م إلى ٨٥ ألف عام ١٩١٣م...

قدم إلى فلسطين بعد أن انتدبت بريطانيا عليها حوالي ١٠٠ ألف يهودي ما بين عام ١٩٢٠م ـــ ١٩٢٩م...

منذ عام ١٩٢٩م حتى عام ١٩٣٦م شهدت البلاد موجات من الهجرة لم يسبق لها مثيل، وذلك بسبب مجيء النازية إلى الحكم في ألمانيا والتواطؤ السري بين زعماء النازية وزعماء الصهيونية... وقد حضر في هذه الفترة أكثر من ١٥٠ ألف يهودي بعد أن عقد الاتفاق السري بين السلطات النازية والوكالة اليهودية على دعم الهجرة اللاشرعية إلى فلسطين... وقد أصبح عدد السكان اليهود في فلسطين نتيجة لهذه الهجرة ٣٥٥ ألفاً عام ١٩٣٥م أي حوالي ٢٣٪ من السكان بعد أن كان ١٥٠ ألف عام ١٩٢٩م أي حوالي ١٦٪ من السكان...

وفي سنة ١٩٤٨م أصبحَ عددهم بإعلان قيام دولـة إسـرائيل ٦٥٠ ألفاً... ومنذ ذلك الوقت فتحَ باب الهجرة إلى فلـسطين إلى أن وصلوا الآن إلى أكثر من خمسة ملايين...

وبعد، هذه قراءة سريعة في أفكار وخطـط بعـض زعمـاء الصهيونية الذين ما زالوا يتمسكون بالأفكار التي وضعها هرتسل أثنـاء المؤتمـر الصهيوني الأول في مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧م... جئنـا علـى ذكرهـا من أجل وضع النقاط على الحروف في هذه الأيـام الحرجـة والعصيبة في حياة أمتنا... وما جرى ويجري في فلسطين هذه الأيام أكبر شاهد على غطرسةِ العدو الصهيوني، الذي يُطور أدوات إجرامه لقتـل الشعب العربي الفلسطيني وطرده من وطنـه وأراضـيه، ولكـن إرادة وصمود الشعب الفلسطيني أذهلت الأعداء الذين حسبوا أنفسهم أنهـم قادرون على تنفيذ مآربهم العدوانية...

مراجع الدراسة:

* محمد عزة دروزة ـــ من تاريخ القضية ـــ مجلة المعرفة ـــ دمشق، عدد خاص عن القضية العربية في صراعها مع الصهيونية العالمية، رقم العدد ٤٩ السنة الخامسة ـــ مارس ١٩٦٦م...

* الموسوعة الفلسطينية ـــ ج ٣

* فلسطين تاريخها وقضيتها ـــ المرحلة الثانوية مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـــ ١٩٨٣م ـــ نيقوسيا ـــ قبرص...

* فتحي الأبياري ـــ الصهيونية... سلسلة كتابك ـــ الصهيونية دار المعارف بمصر ـــ ١٩٧٧م...

* القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـــ بيروت ١٩٨٠م...

* د. محمد سلامة النحال ـــ فلسطين أرض وتاريخ... دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية عمان ١٩٨٦م...

* رفيق شاكر النتشة، الإسلام وفلسطين "منشورات" فلسطين المحتلة بيروت ـــ ١٩٨١م...

ماذا دار في أروقة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧م ..؟!

فلسطين الذكرى المؤلمة التي تهزّ المشاعر العربية بسبب احتلالها من قبل الصهاينة، يعاني شعبها العربي الأمرين:ـــ قسم يعيش في الغربةِ ينتظرُ العودة على أحر من الجمر، والقسم الثاني ما زال صامداً فوق ربوع وطنهِ يتمنى أن تزولَ الغمة عن سماءِ بلاده...

أمنيات كثيرة عمرها من عمر فلسطين، تحمل في طياتها رغم الغربة والبعاد والشقاء معاني الإصرار على عودة فلسطين عربية كما كانت في الماضي، رغمَ أنوف المحتلين الطارئين الذين عاثوا فساداً في أرضها، وقاموا بارتكاب أبشع الجرائم ضد أصحاب الأرض، ودنسوا المقدسات والمساجد، ودمروا مئات القرى والمدن، في محاولة لطمس هويتها ومعالمها العربية... ولكنّ الأصالة تبقي ساطعة مهماً حاولَ المعتدي أن يضيفَ عليها من الرتوش... والحق يظل مضيئاً مهما حاول الباطل أن يخفي معالمه...!!

فلسطين كانت وما زالت وستظل الجرح النازف في جسدِ الأمةِ العربية، فهي قطعة من الوطن العربي الكبير، وشعبها جزء لا يتجزأ من الأمةِ العربية...

وقصة ضياع فلسطين قصة طويلة ومرعبة... اختلط فيها الحابل بالنابل، يوم تآمرت الدنيا كلها على فلسطين وشعبها، فقد صدرت مئات بل آلاف الكتب والدراسات التي تحدثت عن مأساةِ وطن وشعب بجميع اللغات الحيّة، ورغمَ هذا فإنّ هناك أشياءَ كثيرة لم تقل حول ضياع فلسطين، وبالتالي فإنّ هناك كتباً أخرى تؤيد الصهاينة في

احتلالهم لفلسطين، والمؤسف جداً أنّ القارئ العربي ما زال يجهل أموراً كثيرة حول الظروف والملابسات التي أحاطت بضياع فلسطين، وهو أمرٌ خطيرٌ للغاية...!!

ورغمَ هذا، فالقضية الفلسطينية كانت وما زالت وستظل شغل العالم بأسره، ما دام هناك فلسطيني واحد يعيش فوق الكرة الأرضية، فهي قضية حق أبدي ليس من السهل التنازل عنه...

وهي تمثل بشكل خاص للأمةِ العربية الوجه الحقيقي للصدام مع قوى الشرّ والعدوان...

دفعني إلى كتابةِ هذه المقدمة قراءتي لكتاب " تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة " لمؤلفه الأستاذ علي كاشف الغطاء، وقد صدرَ عن دار الشؤون الثقافية في بغداد ضمن سلسلة "الموسوعة الصغيرة" سنة ١٩٨٦م، واحتوى على عرض وتحليل للمواقف الدولية والعربية من تقسيم فلسطين، وهو من الكتب القيمة التي تتحدث عن موضوع مهم، بحاجة إلى أن يطلع عليه كل قارئ عربي على امتداد الوطن العربي الكبير، ويحفظه عن ظهر قلب حتى يعرف ماذا جرى في سنتي ١٩٤٧م ــ ١٩٤٨م من أحداث ومناورات سياسية تبعث على الحزن والأسى، ففي مقدمةِ الكتاب يشير المؤلف إلى الأسباب التي حدت به إلى تأليف هذا الكتاب، ولقد تناولَ الكتاب والباحثون شتى نواحي القضية الفلسطينية، فأطالوا في بعضها وأوجزوا في بعضها الآخر، فمن المواضيع التي بحثت بصورة عامة، موضوع تقسيم فلسطين الذي جاءت

معالجاته متفرقة مشتتة هنا وهناك، فلم تفرد له كتب خاصة تتناول مختلف ظروفهِ ومراحلهِ.. لذا فإنني في هذا المسعى المتواضع أحاول أن أجمل أهم ما جرى في المصير الذي وصلت إليه القضية الفلسطينية...

وجاء الكتاب في خمسة فصول حملت العناوين التالية:

ـ بحث القضية الفلسطينية في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثانية...

ـ قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين:ـ دولة عربية ودولة يهودية...

ـ صدى قرار تقسيم فلسطين...

الدول العربية والتدخل العسكري...

هذا بالإضافة إلى تمهيد تاريخي حول القضيةِ الفلسطينية والحركة الصهيونية، يلقي الأضواء فيه على الظروف التي حدت باليهود إلى التفكير بإيجاد وطن لهم، فقد شجعت الحركات القومية التي ظهرت في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، الكثير من اليهود على الشعور بأنّ الديانة اليهودية والرابطة العنصرية ـ المزعومة ـ بين يهود العالم تجعلان من اليهود أمة قومية واحدة، لها من الحقوق ما للقوميات الأخرى، ومن ذلك الحق في إقامةِ دولة يهودية على أرض خاصة بها، فظهرت الحركة الصهيونية التي تعني "حب صهيون" في عام ١٨٢٢م،

وعقدت أول مؤتمر لها في بازل في سويسرا في شهر آب سنة ١٨٩٧م بزعامةِ الصحفي النمساوي الهنغاري الأصل ثيودور هرتسل، الذي قرر أن يكون "هدف الصهيونية هو إيجاد وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون" وأن يتحقق هذا الهدف بالوسائل الثلاث التالية:

١- تشجيع الاستيطان في فلسطين على مقياس واسع ومنظم...

٢- الحصول على اعتراف دولي بالحق القانوني لليهود بالاستيطان في فلسطين...

٣- تأسيس منظمة دائمة تقوم بحمل جميع اليهود على اعتناق أهداف الصهيونية...

على أثر ذلك انطلق زعماء الصهيونية لاستغلال الظروف السياسية والاجتماعية الدولية للترويج لفكرة العودة إلى فلسطين، والحصول على اعتراف دولي بالوطن القومي اليهودي فيها لتحقيق الهوية القومية، والتمهيد لإقامة الدولة اليهودية في المستقبل، وقد هيأت الحرب العالمية الأولى الفرصة للحركة الصهيونية لأن تتحالف مع بريطانيا التي دخلت الحرب ضد الدولة العثمانية، صاحبة السيادة على فلسطين، فأعلن زعماء الصهيونية وعلى رأسهم حاييم وايزمن عن تأييدهم للحلفاء في الحرب، وتكريس جهود اليهود لخدمة مجهودهم الحربي، لقاء تأييد بريطانيا لأهداف الحركة الصهيونية والرامية لإنشاء الوطن القومي اليهودي، فتوافق هذا مع رغبة بريطانيا التي كانت تسعى لكسب اليهودية العالمية وخاصة يهود أمريكا إلى جانبها، فأصدر اللورد بلفور

وزير الخارجية البريطانية في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م تصريحهُ المعروف بإنشاء الوطن القومي اليهودي الذي جاء فيه "...إنّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين... وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية "...

وقد تزامن هذا الوعد مع دخول القوات البريطانية إلى فلسطين في أواخر عام ١٩١٧م، وما أن علمَ أبناء فلسطين بهذا أدركوا الخطر الكبير الذي كان يحيط بهم، وقاموا بتشكيل اللجان وإرسال برقيات الاستنكار إلى زعماء العالم، يشرحون فيها قضيتهم العادلة ورفضهم كل المشاريع الاستعمارية والاستيطانية... وقاموا بتنظيم المظاهرات والإضرابات وعقد المؤتمرات التي أعلنوا فيها أنّ فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير... وتطورت الأمور إلى الكفاح المسلح ضد القوات الإنجليزية والعصابات الصهيونية...

وعندما أقرت عصبة الأمم المتحدة منح بريطانيا الانتداب على فلسطين في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢م، وأخذت الهجرة اليهودية تتدفق على فلسطين، أعلن العربُ رفضهم للانتداب ومقاومتهم للسياسة البريطانية، فقاموا بثورات عديدة في السنوات ١٩٢٣م و ١٩٢٩م و ١٩٣٣م و ١٩٣٦م و ١٩٣٧م و ١٩٣٩م... فأدركت بريطانيا بأنّ تأييدها للصهيونية ومخططاتها لإقامة الوطن القومي اليهودي سيكلفها غالياً، لأنّ العرب لن يستكينوا ولن يرموا السلاح، فلجأت إلى سياسة ملتوية ذات وجهين ترمي إلى تهدئةِ ثائرة العرب من جهة والاستمرار

بالعمل على إنشاء الوطن القومي وإباحةِ الهجرة إلى فلسطين من جهةٍ أخرى، ولكي تكرس بريطانيا جهودها لتحقيق هذه السياسة، فتحمي المهاجرين اليهود الجدد، أخذت تخطط لعزل المناطق التي يسكنها العرب، ومن هنا نشأت فكرة تقسيم فلسطين التي هي إحدى مظاهر تأييد السياسة البريطانية لأهداف الحركة الصهيونية المعادية للعرب، وقد مرت فكرة التقسيم هذه بمراحل عديدة، وصيغت بصيغ ومشاريع متعددة، قامت بوضعها لجان بريطانية ودولية مختلفة كان آخرها مشروع التقسيم الذي نحن بصدد بحثه بإيجاز...

القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة...

على أثر فشل الخطط البريطانية الرامية إلى تنفيذ مشاريع تقسيم فلسطين، كمشروعي بيل ومورسن اللذين وضعتهما الحكومة البريطانية للإيفاء بوعودها بإنشاء الوطن القومي اليهودي وحماية المهاجرين اليهود، وعجزها في المحافظة على الأمن والنظام باعتبار بريطانيا الدولة المسؤولة عن إدارة فلسطين بموجب وثيقة الانتداب نتيجة للمقاومة الشديدة التي أبداها العرب ضد الانتداب والمشاريع الاستعمارية، مما اضطرها إلى الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة في فلسطين، أدّى بها إلى أزمةٍ مالية كبيرة وخطيرة جعلتها تفكر جدياً بإيجاد مخرج لها من هذا المأزق الحرج، فلجأت إلى المنظمةِ العالمية تعرض عليها القضية الفلسطينية، رغبة منها في

استصدار قرار دولي بشأنها، تعمل الدول على تنفيذه باعتبارهِ صادراً عن الأمم المتحدة محاولة بذلك إخفاء الصيغة الشرعية والقانونية على تنفيذ مشاريعها الاستعمارية، ومستغلة ما كان لها ولحليفتها أمريكا من نفوذ وتأثير كبيرين في أواسط الأمم المتحدة، لكونهما الدولتين المنتصرتين في الحرب العالمية الثانية...

وتقدمت الحكومة البريطانية في الثاني من شهر نيسان سنة ١٩٤٧م بمذكرةٍ إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، أعلنت فيها عن نيتها في التخلي عن الانتداب، وطلبت إدراج القضية الفلسطينية في جدول أعمال الدورة الاعتيادية القادمة للجمعية العامة، وفي الوقتِ نفسهِ عقد دورة لتأليف لجنة خاصة من الأمم المتحدة لبحث القضية وإصدار التعليمات لها، وتمت الموافقة على الطلب البريطاني فعقدت الجمعية العامة دورة خاصة استمرت من ٢٨ نيسان حتى ١٥ أيار ١٩٤٧م بحثت خلالها القضية الفلسطينية، وأقرت تشكيل لجنة تحقيق مؤلفة من أحد عشر عضواً، يمثلون الدول المتوسطة والصغيرة تقوم بزيارة فلسطين، وتعد تقريراً مسهباً عن الوضع بها، على أن تقدم التقرير للجمعية العامة في دورتها العادية الثانية التي تعقد في أيلول ١٩٤٧م لتتخذ على ضوئه قراراتها بشأن القضية الفلسطينية...

مشروعا لجنة التحقيق الدولية...

ومن أجل إلقاء الأضواء على مهمةِ لجنة التحقيق الدولية التي تم تشكيلها، نقدم هذه المعلومات... فقد تم تشكيل لجنة تحقيق دولية تابعة للأمم المتحدة بناءً على اقتراح النرويج من الدول التالية:

كندا، تشيكوسلوفاكيا، غواتيمالا، هولندا، بيرو، السويد، أورغواي إيران، الهند، يوغسلافيا وأستراليا...

وقد باشرت اللجنة عملها بعد وصولها إلى فلسطين، فاجتمعت لأول مرة في القدس في ١٦ حزيران سنة ١٩٤٧م، ثم قامت بعد ذلك بزيارات إلى كل من لبنان والأردن، وقد استغل اليهود مقاطعة العرب أعمال اللجنة أبرع استغلال، فاندفعوا يتعاونون معها ويبذلون كل ما في وسعهم لكسبِ عطفِ أعضائها، ولقد وضعت اللجنة تقريراً مسهباً عالجت فيه القضية الفلسطينية، تضمن القسم الأول منه تحليلاً تاريخياً للمشكلةِ منذ نشأتها، وعدداً من التوصيات التي كان من بينها:

إنهاء الانتداب على فلسطين وإعلان الاستقلال في أقرب وقت ممكن... وأن تتولى الأمم المتحدة الإشراف على السلطة وإدارة البلاد في أثناءِ فترةِ الانتقال ــ كما تضمن مبدأ المحافظة على الوحدة الاقتصادية ــ وحث التقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة لإغاثة اليهود الأوروبيين المتضررين...

وقد اشتمل الباب السادس من تقرير اللجنة على مشروعية لشكل الحكومة المقبلة في فلسطين، عرف أحدهما بمشروع الأغلبية والثاني بمشروع الأقلية، حيث انقسمت اللجنة إلى قسمين، فقد اقترحت الأغلبية تقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية ومدينة القدس على أن تكون جميعاً متحدة اقتصادياً...

وقد كانت الأغلبية تتألف من كندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا وهولندا وبيروت والسويد وأوروغواي... أما الأقلية من أعضاءِ اللجنة كانت تتكون من إيران والهند ويوغسلافيا، فقد أوصت بقيام دولة اتحادية واحدة تتألف من قسمين، القسم العربي والقسم اليهودي لكل منهما حكومة ذات سلطات محلية فقط، وقد امتنع مندوب أستراليا عن التصويت على أي من المشروعين...

وتتألف الدولة العربية المقترحة من منطقة الجليل الغربية ومنطقة السامرة الممتدة من أسدود إلى الحدود المصرية، وقد اقترح فيما بعد أن تضم مدينة يافا نظراً لأنّ غالبية سكانها من العرب، وبعض أقسام منطقة النقب...

وتتألف أراضي الدولة اليهودية المقترحة من منطقة الجليل الشرقية وسهل أسد "رائلون" والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع وصحراء النقب، واقترحت جعل منطقة القدس تحت نظام خاص مسؤول أمام مجلس الوصاية الدولي، ويجب ألا تكون محصنة

أو منطقة عسكرية، ويقوم مجلس الوصاية التابع لهيئةِ الأمم المتحدة بتعيين حاكم القدس العام، ولا يجوز أن يكون هذا الحاكم عربياً أو يهودياً...

ولقد عارضَ العرب مشروع الأغلبية لأنه لم يلـــب مطلبـــهم الرئيسي باستقلال فلسطين، ولا الاقتراح بتقسيم فلسطين إلى قـــسمين عربي ويهودي، ويخالف جميع مبادئ العدالة والقيم الإنسانية، ويحـــابي الأطماع الصهيونية إذ خصص لليهود أخصب الأراضي الزراعيـــة... وأهم المواقع الاستراتيجية وغالبية الـــساحل علـــى البحـــر الأبـــيض المتوسط...

القضيـة الفلسطينيـة في دورة الأمم المتحدة الثانيـة...

اجتمعت الجمعية العامة في دورها العادية الثانية في أيلول سنة ١٩٤٧م، وقررت في الجلسة الخاصة التي عقدها في ٢٣ أيلول تشكيل لجنة خاصة مؤقتة تتألف من جميع أعضاء الأمم المتحدة لبحث القضية الفلسطينية والنظر بصورة خاصة في:ـ

١- تقرير لجنة التحقيق الخاصة، ومشروعا الأغلبية والأقلية اللذين اقترحتهما...

٢- طلب بريطانيا الحصول على توصية من الجمعية العامة بشأن مستقبل الوضع في فلسطين، المدرج في جدول الأعمال...

٣- الاقتراح العربي الذي تقدم به كل من العراق وسورية والمملكة العربية السعودية بإنهاء الانتداب على فلسطين، والاعتراف بها دولة مستقلة، وقد عارضت الدول العربية جميعاً قرار تشكيل اللجنة الخاصة المؤقتة... وأبدى مندوب العراق بأنّ القضية دقيقة وحرجة إلى درجة يجب أن تدرس من قبل اللجنة السياسية نفسها، وليس من قبل اللجنة المؤقتة التي تقرر تشكيلها...

ولقد اجتمعت اللجنة الخاصة المؤقتة، وقررت دعوة ممثلي اللجنة العربية العليا الممثلة لعرب فلسطين، والوكالة اليهودية الممثلة لليهود

لحضور جلساتها والإدلاء بالمعلومات التي قد تحتاج إليها اللجنة وقد لبّت كل منهما الدعوة...

كلمة مندوب اللجنة العربية العليا...

وفي ٢٩ أيلول عرضَ مندوب اللجنة العربية العليا السيد جمال الحسيني قضية بلادهِ، أمام اللجنةِ الخاصة المؤقتة قائلاً " إنّ العرب لعلى استعداد تام لمقاومة أيّ مشروع تقسيم يقترح لفلسطين إلى آخر نقطة من دمائهم"... ورفض بشدة مشروع الأغلبية والأقلية اللذين يضمهما تقرير لجنة التحقيق الخاصة، ثم أردف موضحاً بأنّ السياسة العربية مرتكزة على ثلاث لاءات " لا تقسيم ولا هجرة يهودية بعد الآن، ولا دولة يهودية " وبعد أن أكدَ بأنّ الحل الوحيد الذي يقبل به العرب في فلسطين هو " تشكيل دولة عربية ديمقراطية مستقلة تشمل جميع أراضي فلسطين، أعلن قائلاً أنّ عرب فلسطين مصممون بكل صلابة وحزم على مقاومة أيّ مشروع يؤول إلى تجزئة بلادهم الصغيرة أو تقسيمها أو عزلها عن غيرها بجميع الوسائل التي تتوفر لديهم، أو يمنح قلة من الناس على أساس العقيدة الدينية حقوقاً خاصاً وهم سيقاومون هذا المشروع بنفس الغيرة الوطنية، وبنفس التضحية التي يقوم بها أي شعب من شعوب الأرض، يكون في الظروف التي هم فيها، مع علمنا الأكيد أنّ الدول العظمى تستطيع إذا شاءت بقوتها الغاشمة أن تسحق هذه

المقاومة "... وبعـــدَ أن استعرض السيد الحسيني تاريخ القضية قـــال: "إنّ الحقيقة الناصعة التي لا نتخلى عنها هي أننا موجودون في فلـــسطين منذ أقدم الأزمنة، وإنها ملكنا وملك أبنائنا وأجدادنا، وإننا سنبقى هناك، وإن من قدس واجباتنا أن ندفع عنها كل اعتداء"...

وفي الثاني من تشرين الأول سنة ١٩٤٧م، مثل الدكتور سيلفر عضو الوكالة اليهودية أمام اللجنة الخاصة عند مناقشتها تقرير لجنـــــة التحقيق الدولية المتضمن مشروع الأغلبية بتقسيم فلسطين، وأعربَ عن قبول الوكالةِ اليهوديةِ بالتوصيةِ بتقسيم فلسطين، واعترض على تـــرك غرب الجليل خارج المنطقة اليهودية، وطالب بضم القسم خارج الأسوار إلى الدولة اليهودية... وبتوسيع رقعة الدولة اليهودية علـــى حـــساب المنطقة العربية، وأعلن عن استعداد اليهود لملء الفراغ الذي ســـيحدثه انسحاب البريطانيين من فلسطين، وتأمين اللازم لحفظ الأمن...

ودارت مناقشات حامية الوطيس في قاعة الجمعية، تحدث فيها مندوبو الدول العربية الذين أكدوا على حق الشعب الفلسطيني الشرعي في وطنه، وهاجموا الصهيونية بعنف ورفضوا التقسيم الذي وصفوه بأنه غير عادل للعرب، ومخالف لميثاق الأمم المتحدة...

تأييد الدول الكبرى لمشروع الأغلبية للتقسيم...

وفي الحادي عشر من شهر تشرين الأول ١٩٤٧م، أعلن المستر جونسون مندوب الولايات المتحدة الأمريكية، تأييد حكومة بلاده للمبادئ الأساسية التي تضمنها الغالبية الذي ورد في تقرير لجنة التحقيق الدولية الخاصة، الذي ينص على تقسيم فلسطين إلى دولتين دولة عربية ودولة يهودية، وتوضع منطقة القدس لوحدها تحت نظام وصاية دولية، وتصبح هاتان الدولتان مستقلتين بعد فترة انتقال مدتها سنتان تبدأ من اليوم الأول من أيلول سنة ١٩٤٧م...

وفي السادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧م تم عرض تقرير اللجنة الخاصة الذي أوصت فيه بالموافقةِ على مشروع التقسيم، مع بقاءِ الوحدة الاقتصادية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكان القرار يتطلب موافقة ثلثيّ الأعضاء، وقد احتدمت المناقشات التي دامت ثلاثة أيام بين الدول المؤيدة للتقسيم والدول المعارضة، حازَ بعدها المشروع الأكثرية المطلوبة في التاسع من تشرين الثاني ١٩٤٧م، عندما اجتمعت الجمعية العامة بكامل هيئتها وأجرت التصويت عليهِ، فقد صوتت ثلاثة وثلاثون دولة بالموافقة على المشروع، بينما عارضته ثلاثة عشرة دولة، وامتنعت عشرة دول عن التصويت، وتغيبت دولة واحدة عن الاجتماع...

لقد أيدت معظم الدول الأوروبية الشرقية منها والغربية ودول أمريكا اللاتينية التقسيم، وقد شجع تأييد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي عدداً من الدول على تأييد القرار... فأحرز الأغلبية المطلوبة، في الوقت عارضَ فيه القرار جميع الدول الإسلامية ومع الدول التي غالبية سكانها من المسلمين، وكان لقرار صدور التقسيم صدى عظيماً في البلاد العربيةِ ومنطقة الشرق الأوسط، فقد كان بمثابةِ الوقود الذي زادَ من لهيب الثورة التي شنها عرب فلسطين من أجل حريتهم واستقلالهم...

وقامت مظاهرات الاحتجاج والتي اجتاحت جميع أنحاءِ الوطن العربي، التي طالبت الحكومات العربية بالعمل على تحرير فلسطين وإنذارها من الخطر الداهم، وعقدت الجامعة العربية عدداً من الاجتماعات لتؤكد موقفها السابق برفض مشروع التقسيم...

وهكذا تم طرح قضية فلسطين بهذه الصورة المؤلمة، من أجل تثبيت أقدام الصهاينة في فلسطين كأن لهم حقاً فيها... ليسجل التاريخ تآمر العالم كله على قطعةٍ غالية من الوطن العربي... فقد كان قرار التقسيم بداية المأساة التي أدت إلى ضياع فلسطين وتشريد أهلها منها...!!

العثور على مذكرات الرئيس الأمريكي ترومان التي تصف اليهود بالأنانيين جداً...

قسوة اليهود لا تضاهيها قسوة هتلر أو ستالين...

نشرت صحيفة واشنطن بوست، في الحادي عشر من تموز ٢٠٠٣م جزءاً من مذكرات الرئيس هاري ترومان التي كتبها عام ١٩٤٧م وعثر عليها في مكتبته مؤخراً...

وقد كتبَ ترومان يقول: "إنني أجد اليهود أنانيين جداً جداً، وهم لا يكترثون بعدد الأستونيين أو الليتوانيين أو الفنلنديين أو البولنديين أو اليونانيين الذين يقتلون أو تساء معاملتهم كأشخاص مشردين، طالما أنّ اليهود يلقون معاملة خاصة، لكنهم عندما يملكون السلطة مادية أو مالية أو سياسية، فإنّ هتلر أو ستالين لا يماثلهم في القسوة أو سوء المعاملة للآخرين"...

لولا يهودي من كنساس لم يكن معروفاً كثيراً لما قامت دولة إسرائيل، ففي عام ١٩٤٨م كان حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية قد وصل من لندن إلى نيويورك ليجتمع مع الرئيس الأمريكي هاري ترومان، لكن ترومان ألغى الاجتماع فلم يكن مزاجهُ يسمح بمناقشةِ إقامة وطن يهودي في فلسطين...

ما الذي كان يضايق الرئيس في وقتٍ سابق من تلك السنة...؟! كان وفد صهيوني أمريكي قد اجتمعَ معه في البيت الأبيض، وطالب بعمل فوري لمصلحةِ الآلاف من ضحايا المحرقة المشردين الذين يسعون إلى اللجوء إلى دولةٍ يهودية، وعندما لم يتفق رد ترومان مع توقعاتهم تصلب الزوار وقام الحاخام آباهليل سيلفر من كليغلاند، أوهايو بضرب طاولة الرئيس بقبضتهِ، فغضبَ ترومان وقال:ـ لا أحد يأتي إلى مكتب الرئيس الأمريكي ويصرخ في وجهه أو يضرب طاولته بقبضته، ولا أحد سواي يفعل هذا...!!

وأمر ترومان بخروج الوفد من المكتب البيضاوي، وطلبَ من موظفيه بألا يسمحوا لهم بالعودة إليه...

وقال:ـ " لا أريدُ أبداً أن أسمعَ كلمة فلسطين تذكر أمامي مرة أخرى"...

وعندما علم وايزمن بالحادثةِ، غضبَ كثيراً ثم فطن لصديق ترومان طوال حياته، وهو أيدي جاكوبسون الذي كان في الرابعة عشرة عندما تصادق مع هاري ترومان وهو في العشرين من عمره، مع أنّ أيدي كان يهودياً وكان هاري ترومان معمدانياً، وقد خدم الرجلان معاً في الجيش في فرنسا وتوطدت علاقتهما...

وعندما علم أيدي بالسلوك الوقح للصهاينة في مكتبِ الرئيس، رفض التدخل وقال:ـ " إنّ صداقتي مع الرئيس ترومان عمرها سبعة وثلاثون عاماً، ولم أطلب منه في حياتي أن يقدم لي جميلاً،

وعندما يقـــال لي أنـــه لا يريد حتى سماع كلمة فلسطين فإنني لا أهدر صداقتنا بإغضابهِ الآن"...

لكنهُ ذهبَ لمقابلةِ ترومان، وخلال الحديث قال ترومان إنـــي مشمئز ومتعب من الصهاينة الذين يعتقدون أنهم يستطيعون إجباري بما أفعله، فقد جاءوا إلى هنا وصرخوا في وجهي وأطلقوا التهديدات المتعلقة بالتأييد السياسي المستقبلي من اليهود الأمريكيين...

وقال ترومان: " إذا كان المسيح لم يستطع إرضاءهم عنـــدما كان على الأرض، فكيف يمكن لك أو لأي شخص آخر أن يتوقع مني أن أكون محظوظاً معهم "...؟!

وكتبَ ترومان في مذكراته:ـــ "اكتشفت هذا اليوم "١٩ آذار ١٩٤٨م" أنّ وزارة الخارجية غيرت سياستي نحو فلسطين، وقد عرفت هذا التغيير في الصحف، لذلك أجد نفسي الآن في موقفِ الكذاب، وأنا لم أشعر في أي يوم من الأيام بأنني في مثل هذه الوضاعة... فما هو غير مفهوم أنّ الصهاينة ليسوا الوحيدين الذين يتوجب اعتبارهم في القـــضية الفلسطينية، فهنالك مصالح أخرى وكل منها لها أجندتها الخاصـــة بهـــا "...!!

وكان قد تم العثور بالصدفة على دفتر أزرق صغير منسي على أحد الرفوف في مكتبة تحمل اسم الرئيس الأمريكي الراحـــل هـــاري ترومان، وتقع داخل متحف خاص بالرجل الذي كان ســـيد البيـــت الأبيض، حين أمر في منتصف ١٩٤٥م بإلقاء قنبلتين نـــوويتين فـــوق

اليابان، ووجدوا أنّ الدفتر لم يكن سوى يوميات كتبها الرئيس ترومان نفسه، لكنها مثيرة للجدل، وهي فتيل قد يشعل الغضب اليهودي على ترومان، الذي كان ما يزالُ رئيساً للولايات المتحدة حين اعترفت في ١٩٤٨م بدولةِ إسرائيل...

وكان ترومان الذي توفي وهو بعمر ٨٨ سنة في ١٩٧٢م ببلدته في ولاية ميسوري، قد كتبَ اليوميات بدءاً من أوائل ١٩٤٧م وتطرق فيها لشؤون حياتهِ الخاصة كأي مذكرات عادية...

لكنه خصّ صفحة يوم ٢١ تموز من ذلك العام ليكتب مشاعره نحو اليهود، بعد اجتماعه طوال ١٠ دقائق إلى هنري مورغينثاو وزير الخزانة في إدارة الرئيس فرانكلين روزفلت، ومن بعدها في المنصب نفسهُ مع خلفهِ الرئيس ترومان، قبلَ أن يصبح مورغينثاو في عام ١٩٤٧م رئيساً لرابطة الاتحاد اليهودي في الولايات المتحدة، فقال ترومان عن مورغينثاو بعدَ الاجتماع الذي عقد لمناقشةِ مدّ العون لأكثر من ٤ آلاف و٥٠٠ يهودي كانوا على متن سفينةٍ رفضت سلطات الانتداب البريطانية السماح لها بالدخول إلى المياه الإقليمية الفلسطينية، فظلت تائهة بركابها على غير هدى في المتوسط، إنّ مورغينثاو "لا عملَ له حقيقة" "سوى اليهود"، ثم تابع وكتب: "اليهود لا يملكون الإحساس بالانسجام، وليسوا قادرين على تقييم الشؤون الدولية... هنري جاء بآلاف اليهود إلى نيويورك لتكون لهم مقراً مؤقتاً، لكنهم يبقون فيها ولا يغادرون فيما بعد كما قال"...

وبعد،

يتبين لنا من خلال الملاحظات العابرة عبر مذكراتِ الـــرئيس هاري ترومان، الذي كان على رأس الحكم في أمريكا العـــام ١٩٤٧م حين اعترفت حكومته بإقامة "دولة إسرائيل" في فلسطين، بعـــد أن تمّ التصويت على قرار هيئة الأمم المتحدة بالاعتراف بإسرائيل، دون علـــم الرئيس ترومان كما جاء في مذكراته، حيث يبدو أنه لم يكن موافقـــاً على إقامة دولة يهودية في فلسطين، ولكن يظهر أنّ النفوذ الـــصهيوني كان تأثيره كبيراً على رجال الحكم في أمريكا، مما أثار غضبَ الـــرئيس الأمريكي... ويبدو أنّ اللوبي الصهيوني ما زالَ مستمراً في التأثير علـــى السياسةِ الأمريكيةِ في سبيل دعم الكيان الصهيوني في فلسطين... وهذا ما نراه عياناً ونلمسه عبر التأييد غير المحدود الـــذي تقدمـــه أمريكـــا لإسرائيل...

جريدة "الرأي" ١٣/٧/٢٠٠٣م

هذا كتاب يرصدُ فيهِ مؤلفهُ س. ناجي جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، وما أكثر تلك الجرائم التي ارتكبها اليهود على مرّ العصور، وشملت شعوباً شتى وخاصة ممن أحسنوا إليهم وآووهم فوق ربوع بلدانهم، وكأنهم خلقوا للشرّ والإساءةِ إلى غيرهم...!! وقد عانينا نحن العرب كثيراً من جرائم اليهود الذين احتلوا فلسطين، وطردوا أهلها العرب منها، وشردوهم في بلاد الله الواسعة ليسكنوا مكانهم، ويستولوا على أراضيهم وخيراتهم، وهم الذين كانوا يعيشون في ظـــلّ العـــرب معززين مكرمين...

ولو أردنا أن نحصي الجرائم التي ارتكبها اليهود في فلـــسطين والأقطار العربية الأخرى لاحتجنا إلى مجلدات، وقد كتبت بالفعل العديد من الكتب موثقة بالأرقام والصور، ورغم هذا فإنّ هناك جرائم ترتكب بشكل يومي على أرض فلسطين، ونسمع بين وقت وآخر عن شـــهداء وجرحى أصيبوا على أيدي العصابات اليهودية الذين لا يألون جهداً في ارتكاب الجرائم، واعتقال المئات من الأبرياء والزج بهـــم في الـــسجون بدون رحمة أو شفقة...

وكتاب "المفسدون في الأرض" الذي صدر في أكثر من طبعة، وكانت نسخ هذا الكتاب تنفد بسرعة لأهميةِ المواضيع المطروحة فيه... وصدرت الطبعة الأولى منه في دمشق عام ١٩٧٤م...

وقد أهدى المؤلف كتابه هذا إلى الرفـــاق الأبـــرار، الـــذين سقطـــوا فـــي معاركِ الشرف دفاعاً عن عروبةِ فلسطين، وإلى كـــل

شهيـــدٍ ضحى بدمهِ في سبيل تحرير أرضنا المقدسة من الطغاةِ الأنذال، وبذل روحه الطاهرة راضية مرضية في إنقاذ وطننا المفدى... وهو إهداء له معناه...

وعلى الرغم من انتشار الكتاب إلا أنّ المؤلف س. ناجي ظـــلّ مجهولاً لدى القرّاء، ولولا ذلك الإهداء الذي جاء في الصفحاتِ الأولى من الكتاب، لما عرفنا شيئاً عن المؤلف الذي يبدو أنه كان أحد الـــذين قاتلوا دفاعاً عن عروبةِ فلسطين، وآثر عدم ذكر اسمهِ بصراحة ولا نعرف ما هو السبب الحقيقي لذلك، فالكتاب وثيقة هامة ستظل تدين إرهاب اليهود على مدى سنين طويلة...

وعن تأليف هذا الكتاب يقول المؤلف:ــــ " لقـــد أســـهب الكتاب والمفكرون في تقليل أسباب نكبةِ عام ١٩٤٨م المفجعة، فذهبَ بعضهم يعزوها إلى النقص في الإدراك السياسي، وزعمَ غيرهم أنها كانت نتيجة التقصير في التأهب العربي... وراحَ آخرون يدعون أنها كانـــت وليدة ظروف خاصة أحاطت بالشعب العربي الـــذي كـــان في طـــور التكوين والنضوج، أما أنا الذي شاءت الأقدار أن يكـــون لي شـــرف الجهاد في خوض معاركها، وأشاهد عياناً أكثر أحداثها المريرة وتطوراتها المفاجئة، وأن اكتوى بلظى نتائجها الأليمة التي أسفرت عن فقدي أعزّ رفاقي في السلاح وأصلبهم عوداً وأشدهم بأساً، وإني وإن كنـــــت لا أقلل من أهميةِ ما قيل في تضليل أسباب هذه النكسة المشؤومة، إلا أنني أعتقد جازماً أنّ أهمّ أسبابها يرجـــع إلى النقـــص الفاضـــح فـــي

نوعيتنا القومية والوطنية، الذي كان يسود ربوعنا العربية قبل الكارثة... إذ كنا متفرقين إلى شيع ومذاهب دون أن ندرك أهداف هذهِ المذاهب التي كنا نتشيع لها...

ودون أن يكون لها نصيبٌ من صلابةِ العقيدة القومية والوطنية... وبدون أن نبحث عن خفاياها وعن ما يكمن وراءها "...!!

ويمضي المؤلف قائلاً:

" فكان منّا المنتسب للماسونية بحجة أنها جمعية ذات أهداف إنسانية نبيلة، ومنّا من يظاهر الدول الغربية المهودة عن جهل في كنه نواياها اعتقاداً منّا بأنها دول حرّة لا تبغي للإنسانية سوى الخير والحرية...!! وكانت في صفوفنا فئة افتقدت مزية التفكير الصحيح والتي كانت تنظر إلى اليهود نظرة الرثاء والشفقة بزعم أنهم أفراد شعب مضطهد وأصحاب شريعة سماوية، وأحفاد أصحاب الرسالات والمعجزات، حتى أنّ بعض حملة الأقلام لم يحجموا أحياناً عن الدفاع عنهم... وترديد ما روته المصادر اليهودية عن الكرامات والمعجزات المنسوبة إلى أسلافهم الأولين، بغية استردادِ العطف والشفقة على القضايا اليهودية التي كانت تعترضها بعض العقبات أحياناً في أكثر البلدان الأوروبية، فهذه النوازع المتباينة هي التي أسدلت ستار الغشاوةِ على الأعين الأمينة لقضايانا القومية والوطنية...

وبينما كان اليهود يعملون ويخططون دون هـــوادة لتأســـيس دولتهم وتحقيق أحلامهم، كنا نحن العـــرب في غفلةٍ عنـــهم، وكـــأنّ الأمـــر لا يهمنا، وانهمكنا في معارك جانبية تاركين لهم الحبـــل علـــى غاربـــه حتى داهمتنا النكسة المفجعة، وأيقظتنا من رقادنا العميق...

فلو أنّ الأجيال الغابرة ورجال الفكر والقلم لعهود مـــا قبـــل النكسة تنبهوا لما كان يدور حولنا منذ عدة قرون، وسارعوا إلى البحثِ عن الأسرار الخفية لسلوك اليهود، وتنبهوا إلى تـــصريحات ومـــساعي زعمائهم منذ مستهل القرن التاسع عشر، لكانوا أدركوا مراميهم الخفية بكل يسر وسهولة"...!!

في بدايةِ الكتاب تحدث المؤلف عن "العهد القديم" وهو الكتاب المعروف بالتوراة، ولقد ترجم إلى أكثر اللغات الحية، وأشهر مراجعه هي الكاثوليكية، والبروتستاتية، وهو مقسم إلى أسفار "أجـــزاء أو كتـــب" وتنسب أسفاره الأولى إلى موسى، وهي التكوين والخروج واللاويـــين والعدد والثنية، وفيه تسعة عشر سفرا غلب عليها الطابع التاريخي، وإن كانت لا تخلو من الأبحاث الدينية والتشريعية والأخلاقية، أما أســـفاره الباقية فتتسم بالطابع الديني والأخلاقي والتشريعي بصورةٍ أبرز، ومنـــذ ظهور التوراة وغاية علماءِ التاريخ هو البحث عن مـــصدره، وتقـــصي حقيقة ما وردَ فيه... وكان الحافز مهم، لذلك ما يزخر به هذا الكتاب من قصص وروايات بلغت من الغرابةِ حدّ الأساطير، غيرَ أنّ مـــساعي

علماء العصور القديمة لم يكتب لها، لافتقار أصحابها آنـــذاك لوســـائل البحث والتنقيب...

فلم يكن لهم بدّ من التسليم بالأمـــر الواقــــع، والـــذي زاد الطين بلـــة فيمـــا بعد هو احتضان الكنيسة للتوراة ككتابٍ مقدس يمنع المس به ومناقشة محتوياته، وموقف الكنيسة هذا عصم التوراة عدة قرون من نقد علماء التاريخ، ورسخ أقدامه في العالم المسيحي...

وعندما كثرت الاكتشافات العلمية الحديثة، وظهرت للوجود حقائق كانت مجهولة في الماضي، كالاكتشافات المـــصرية والآشـــورية والكلدانية، لم يعد في إمكان جهابذة التاريخ السكوت عن التناقـــضات العلمية... مما دفعَ فئة خيّرة منهم لتضع النقاط على الحروف، وتنير ما كان مظلماً منها، فانكشف الستار عن كثير من الأحداث التاريخية التي كانت في نظر الناس منزهة عن كل شك أو شـــبهة، فانهـــارت تلـــك القصور الشديدة على الرمال، التي شيّد اليهود أكثرها عبر الأزمان...

وعن منشأ اليهود في نظر علماء التاريخ يقول المؤلـــف:ــــ " تزعم المصادر اليهودية أنّ منشأ بني إسرائيل هو في بلاد الكلدان، باعتبار أنّ مسقط رأس جدهم أبرام هو أور إحدى المدن الكلدانية "أوركلدان" يعتمد اليهود في زعمهم هذا على ما جاء في سفر التكوين، ولكن هذا الإدعاء يفتقر إلى أدلةٍ تاريخية وبراهين علمية، وعلماء التـــاريخ ينفونـــه بصورةٍ تكاد تكون حازمة، وآراؤهم في هذا الموضوع تختلف كلياً عمّا

ذهبت إليه المصادر اليهودية، إذ لكل عالم منهم رأيه الخــاص في هــذا المنشأ "...

وبغية إطلاع القارئ على هذا البحث ندون فيمــا يلــي آراء واجتهادات بعض علماء التاريــخ الذيــن تطرقوا لهذا الموضوع، ومن بين هؤلاء العلماء يحدثنا العالــم الأمريكي جــورج بارتون عن اليهود فيقول:ــ " إنهم من القبائل السامية الرحل الــتي كانــت تتجــول في صحارى شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، ولقد عرفت بــاحترافِ تربية المواشي والتنقل الدائم، ولم يعرف لها قط بلد أو وطــن، حــتى ظهرت في فلسطين قبل مولد المسيح بعدة قرون "... ولقد أيده في هذا الرأي كل من المؤرخين روجر وبورني، أما العــالم الفرنــسي مــوره فيقول:ــ " إنّ منشأ السامية هو في البلاد الواقعة شمالي شرقي أرمينيــا، وليس في شبه الجزيرة العربية "...

ولكنه يجاري بارتون فيما يتعلق باليهود، ويقر معه بكونهم من القبائل الرحل التي عاشت دوماً في صحارى شبه الجزيرة العربية، وهناك بعض العلماء كالسيد كلاي يصرون على أنّ منشأ الــسامية هــو في سورية بالذات، ولهذه الفئة عدد كبير من الأنصار والمؤيدين كالــسادة درو مندوبلات...

ولقد تطرقَ أبو التاريخ هيرودوت لبحث الهابيرو، ولكن دون أن يذكر شيئاً عن منحدرهم الأصلي، وبين علماء التاريخ القدماء ندر من تناول البحث عنهم قبل احتلالهم فلسطين، اللهمّ إلا مانيتون كاهن

هيليو بوليس الذي ذكر أنّ بعض القبائل الرحل سبق أن غــزت تخــوم فلسطين في عهد الفراعنة، وكانت تدعى بقبائل الهابيرو ويفترض أنها ربما كانت أسلاف القبائل التي اجتاحت فيما بعد بلاد فلسطين...

ويهمنا أن نتوقف عند الصفحات التي تتحدث عن "اليهود في فلسطين" فبعد أن قام المؤلف بشرح آراء العلماء حول منشأ الأســفار السداســية وما تزخر به أمور خارقة للطبيعة، التي لا يرجى من الخوض في تفاصيل أكثر موضوعاتها أية فائدة علمية أو تاريخية، نرى الأجدر بنا أن نأخذ القسم الأخير منها، وهو الباحث عمّا سمي بغــزو فلــسطين باعتباره الجزء بين أجزاء هذه الأسفار الذي يمكننا اعتباره بحثاً تاريخياً إن صحت التسمية، وهو القسم المسمى بسفر يشوع، وإليه يعود الفضل في الاعتقاد الذي ساد طويلاً، بأنّ اليهود احتلوا فلسطين في غضون جيــل واحد، وقضوا على سكانها الأصليين وامتلكوها لأكثر من عشرةِ قرون، ويبدو أنّ هذا الاعتقاد ما هو إلا وليد جهل العالم تفاصيل مــا سمــي بالغزو اليهودي، أو بسبب إحجام الناس عن التمعن في مختلف أقــسام الأسفار الباحثة عن هذا الغزو، فلو أنّ الناس دققوا في محتويات الثنيــة والعدد "وهما أقدم من سفري الخروج ويشوع" وفي ســفر القــضاة لاتضح لهم أنّ ما جاء في سفر اليشوع من مغالاة في وصف سرعة الغزو وأهميته... وبينما نرى سفر يشوع يصف هذا الغزو بأنه كــان عامــاً شاملاً لكل فلسطين وفي آن واحد... ويبحث عن تقسيم البلاد بــين الأسباط، دون أن يترك أي جزء منها بلا توزيع، نلاحــظ أنّ بعــض

فقرات الثنية والعدد تقول أنّ اليهود بعد أن اجتازوا نهر الأردن واحتلوا أريحا وجلجال حيث أقاموا فيها مدة من الزمن، شرعت كل عـــشيرة منهم بعد ذلك بالبحث عن أرض لهـــا فأغارت يهودا وشمعون علـــى مدينة القدس، وتمكنتا من احتلالها والتمثيل بملكها، كما أغارت قبيلـــة طالـــب علـــى حبـــرون واحتلتها

واستوطنت بها... هذه الأقوال تتناقض كلياً مع ما جاء في سفر يشوع "فصل ١٠، فقرة ١٢" من القول بأنّ احتلال القدس وحبرون ويرموك ولاتش وعجلون حدث في عهد صاحب السفر، إذ لو كان حقـــاً أنّ يشوع احتلّ هذه المدن لما كانت الأسفار الأخرى ذكـــرت احتلالهـــا مجدداً...

باختصار إنّ هذا الكتاب الذي استطاع مؤلفهُ أن يرصد جرائم اليهود منذ أقدم عصور التاريخ إلى هذا العصر، وفي كل مكان عاش فيه اليهود من أقطار الدنيا وخاصة في أوروبا التي ضاقت ذرعاً لتـــصرفاتهم المشينة، وكانت محصلة ذلك إقامة وطن قومي لهم في فلـــسطين، حـــتى يخلصوا من شرورهم وأذاهم...!!

صدرَ هذا الكتاب عن سلسلة "عالم المعرفة " الشهيرة، وهو من تأليف كيث وايتلام، وترجمة الدكتورة سحر سليم الهنيدي ومراجعة الدكتور فؤاد زكريا... وقد صدر هذا الكتاب بنيويورك عام ١٩٩٦م...

وهذا الكتاب الذي جاءَ متأخراً كثيراً عن موعدِه لأسباب عديدة، إذ لم يأتِ مؤلفهِ بجديد بالنسبة للقارئ العربي... فهناك عشرات المؤرخين من العرب والمسلمين خاصة أشاروا إلى معظم ما جاء في هذا الكتاب، والدليل على ذلك ما أوردته المترجمة ـــ وهي من أصل فلسطيني ـــ من إشارات وشواهد لكتاب فلسطينيين وعرب وعلى رأسهم مصطفى الدباغ صاحب الموسوعة المعروفة "بلادنا فلسطين" وكذلك عبد الوهاب المسيري مؤلف "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد"...

وكذلك الأستاذ الدكتور إدوارد سعيد، الذي اقتطف منه المؤلف العديد من الآراء حول حق أهل فلسطين بوطنهم، قبل أن يطأ اليهود أرضهم ويدعون زوراً وبهتاناً أنها أرضهم...!!

فالمثقف العربي المطلع على التاريخ الفلسطيني منذ أقدم العصور يتذكر مئات الكتب والأبحاث والدراسات المعمقة التي أثبتت وبالدليل العلمي ـــ بعيداً عن العواطف والأهواء ـــ أنّ فلسطين هي للفلسطينيين الذين سكنوها قبل الميلاد بآلاف السنين، فكتب حول ذلك مؤرخون من فلسطين أمثال محمد عزة دروزة وعارف العارف وإميل الغوري

وأكرم زعيتر بالإضافة إلى مصطفى الدباغ رحمهم الله جميعــاً... فقــد كتبوا بإخلاص ومن قرأ كتبهم يعرف ذلك...

وجاء مؤلفون ومؤرخون بعدهم من العالمين العربي والإسلامي ليتابعوا رسالة آبائهم وأجدادهم...

ولكن يبدو أنّ هذه المؤلفات لم يكتب لها أن تخرجَ من حدودِ الوطن العربي، أو حتى لم تدخل إلى معظم أقطار الوطن العــربي الــتي تجاهلت القضية الفلسطينية بشكل يبعث على الخزي والعار، تحت حجج واهية لا داعي لذكرها في هذا المقام...

وهذا الكتاب المترجم "اختلاق إسرائيل القديمة ــ إســكات التاريخ الفلسطيني" والذي طبع منه خمسون ألف نسخة، يضعنا جميعــاً أمام أسئلة كبيرة ومحرجة أهمها:ــ هل ينبغي لنا نحن العــرب أن نقــرأ تاريخ أيٍ قطر من الأقطار العربية من خلال كتب يؤلفها أجانب طبعت ــ في بلاد غربية، معظمها يؤيد الصهاينة جهاراً نهــــاراً ــ وبلغــة أجنبية لا يحسن أكثرنا القراءة والكتابة فيها...؟!

وما من شك أنه شيء جميل أن نطلع على مثل هذه الكتب التي تزعــج الصهاينة، وتجعلهم يتحركون في سبيل وقف انتشار مثل هــذه الكتب التي تحاربهم، وتثبت باطلهم...

فالصحيح، كنا نتمنى لو تمّ بصورة مبكرة، العمل على ترجمــة مجموعةٍ من الكتب العربية التي تدحض ادعاءات اليهود بفلسطين...

فقد كانوا طارئين على أراضيها... ولكن يبدو أنّ الإعلام العربي كان وما زال عاجزاً لا يهتم بمثل هذه الأمور العامة... وأكبر دليل على ذلك أنّ أهم أربعة مؤرخين والذين جئنا على ذكرهم قبل قليل، اعتنوا اعتناءً واضحاً بالكتابةِ عن التاريخ الفلسطيني، ولكن يبدو أنّ كتبهم قد اختفت بعد رحيلهم عن الدنيا...

تلك الكتب التي طبعوها في حياتهم طبعات محدودة لم تخرج عن البلدان التي طبعوها فيها في الأردن وسورية ولبنان ومصر...

وقد نفدت، فلم يكن بالإمكان لأسباب عديدة إعادة طباعتها...!!

ويجدر بنا أن ننوه إلى الجهودِ الكبيرة التي بذلها مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت، في إصدار العديد من الكتب والمطبوعات باللغات الأجنبية في محاولةٍ للوصول إلى القارئ الغربي...!!

على أي حال، إنّ كتاب "اختلاق إسرائيل القديمة... إسكات التاريخ الفلسطيني" لمؤلفه كيث وإيتلام وهو أمريكي يعمل حالياً أستاذاً للدراسات الدينية، ورئيساً للقسم في جامعة استيرلنج صدرَ له العديد من الكتب منها كتاب "نشوء إسرائيل القديمة من منظور تاريخي سنة ١٩٨٧م، وله العديد من المقالات عن اليهودي القديم والتاريخ الفلسطيني، وقد ترجمت الكتاب الدكتورة سحر سليم الهنيدي، وهي فلسطينية الأصل وتحمل شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة مانشستر ١٩٩٥م، وتعمل مديرة لتحرير سلسلة "عالم المعرفة" ومديرة لإدارة

النشر بالمجلس، لها أعمال منشورة تأليفاً وترجمة وصدرَ لها في حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت " وعد بلفور في الوثائق البريطانية " ١٩٢٢م ــ ١٩٢٣م، "رؤية جديدة لخلافات قديمة " باللغة الإنجليزية سنة ١٩٩٨م ــ ١٩٩٩م...

والمراجع الدكتور الأستاذ فؤاد زكريا غني عن التعريف، فهو أحد أعمدة الفكر المعاصر في الوطن العربي...

وهذا الكتاب، بذلت فيه المترجمة جهداً واضحاً حتى جاءَ على هذه الصورة من الدقة والقوة، ويركز كيث وايتلام في هذا الكتاب على أنه تعاقب على فلسطين القديمة عدة حضارات، وعلى أنّ إسرائيل القديمة لم تكن إلا خيطاً رفيعاً في نسيج التاريخ الفلسطيني الغني... وبعد أن جردَ الفلسطينيون من أرضهم فإنّ خطاب الدراسات التوراتية متورط في عملية تجريد الفلسطينيين من ماضيهم أيضاً... وذلك من خلال بحثهِ المتواصل عن إسرائيل القديمة، وتكرارها لعدد من الادعاءات التي تربط الماضي بالحاضر، وتجاهلها للمعلومات الأثرية الجديدة التي تعطي صوتاً للتاريخ الفلسطيني، فالمعلومات الأثرية تستجلي المعلومات من البقايا المادية للإنسان، ولأنّ الشعب الفلسطيني كان موجوداً على أرض فلسطين منذ أقدم العصور، لا بدّ أن تكشف التنقيبات الأثرية على مثل هذه الآثار المادية... وقد أسفرت هذه الكشوف بالفعل عن جوانب متعددة من التراث الثقافي والروحي الضخم، الذي خلفته الشعوب العربية القديمة "السامية" وبخاصة الكنعانية التي استقرت في

فلسطين مع مطلع العصر التاريخي، ولكن السلطات اليهودية المهيمنة الآن على الكشف الأثري، تعمل على طمس معالم الحضارة العربية الكنعانية...

إنّ الإحساس بالماضي كما يرى مؤلف هذا الكتاب مرتبط تماماً بالهوية السياسية والاجتماعية في الحاضر، وخطاب الدراسات التوراتية طالب ولا يزال يطالب بهذا الماضي لمصلحة إسرائيل...

أما الفكرة الجوهرية التي تركز عليها الدراسات التوراتية فهي اعتبار "مملكة إسرائيل القديمة" حقيقة تاريخية لا جدال فيها، ومن ثم بالتأكيد على وجود استمرارية تاريخية "مباشرة " بين مملكة إسرائيل القديمة في بداية العصر الحديدي، وبين دولة إسرائيل الحديثة، ولا يقتصر الأمر على تأكيد هذه الاستمرارية التاريخية، بل إنّ الدراسات التوراتية تؤكد التوازي بين التاريخين، بحيث توظف أحداث التاريخ القديم في خدمة الأطماع السياسية للصهيونية المعاصرة، وفي المقابل يتم طمس أي مفهوم مماثل لأي استمرارية لتاريخ الشعب الفلسطيني بين الماضي والحاضر...

ويركز مؤلف الكتاب على ادعاء الباحثين التوراتيين التقليديين أنّ التوراة مصدر أساسي للتاريخ، أي بمترلة سجل للتاريخ...

وفي المقدمةِ التي كتبها مؤلف الكتاب وجاءت بعنوان " إسكات التاريخ الفلسطيني" أشار المؤلف إلى السبب الذي ألفّ من أجلهِ هذا الكتاب، فقد "بدا هذا الكتاب كجزء من مشروع ضخم لإصدار

جزأين عن تاريخ فلسطين القديم، يعالجان المكتشفات الأثرية المادية والأيديولوجية والدين في المنطقة، أما الاهتمام بالقضايا الأعم للتاريخ- مثل الاستيطان، والديمغرافيا، والاقتصاد، فقد نظرنا إليه على أنه الطرف المضاد للدراسات التاريخية التقليدية لإسرائيل القديمة، والمستندة إلى التراث الذي هيمن على الدراسات التوراتية منذ القرن التاسع عشر، والدواء الشافي منها، ولكن أثناء بحثي عن المعلومات الأثرية والأنثروبولوجية لإعداد الجزء الأول، أصبح جلياً أنّ هذا المشروع الكبير محكوم عليه بالفشل"...

وتحدث المؤلف عن المشكلات التي اعترضت طريقه عند تأليف هذا الكتاب:

المشكلة الاولى، فكانت حتماً، إنّ أي محاولة لكتابةِ تاريخ فلسطين كبديل للتواريخ التقليدية لإسرائيل التي هيمنت على الدراسات التوراتية في القرنين التاسع عشر والعشرين، سوف تتعرض لخطر سوء الفهم على أساس أنها جهد يشوبه الغرور، وإذ أنها ستظهر وكأنها تدعي القدرة على السيطرةِ على كميةٍ هائلة من المواد تتجاوز طاقة معظم الباحثين، وبالتأكيد تتجاوز قدراتي الخاصة، هذا العمل الكبير الذي كنت أطمح إلى القيام به عندما ابتدأت العمل في هذا الكتاب، غير أنّ الفشل، حوّل هذا المشروع إلى شيء آخر، لم يكون فقط بسبب عدم القدرة، أو حتى مجرد الحلم بالتمكن من هذا الكم الهائل من المعلومات

الضرورية لهذه المهمة... المشكلة تعود إلى ما هو أهم من ذلك، وهو الإقرار بأنّ أي مشروع من هذا النوع عليه أن يواجه العقبات الضخمة لما يمكن تسميته "خطاب الدراسات التوراتية"، وأن يتغلب عليها، فهذا الخطاب يشكل جزءاً من شبكة معقدة من الدراسات العلمية التي عرفها إدوارد سعيد بأنها "الخطاب الاستشراقي"، لقد تجاهلت الدراسات التوراتية تاريخ فلسطين القديم وأسكتته، نظراً لأنّ مجال اهتمام هذه الدراسات هو إسرائيل القديمة التي تم فهمها وتصويرها على أنها منبع الحضارة الغربية...

إنّ هذا العمل إذن ليس تاريخاً آخر لإسرائيل القديمة، كما أنه ليس تاريخاً لفلسطين القديمة...!! والكتاب الحالي يهتم بكلا التاريخين ولكن لا يمكن وصفه بأنه تاريخ لأي منهما، إنّ هذين التاريخين يحتلان مكانة مركزية فيه، وسوف يظهرا بشكل واضح في طيات هذا الكتاب...

والكتاب أيضاً محاولة لإيضاح معالم "فكرة" هي الفكرة القائلة أنّ تاريخ فلسطين القديم موضوع قائم بذاته يحتاج إلى التحرير من قبضة الدراسات التوراتية...

في الصفحات السابقة تحدثنا حول كتاب "اختلاق إســرائيل القديمة... إسكات التاريخ الفلسطيني" بينت فيه أنّ هذا الكتاب جــاء متأخراً عن موعده، وأنهُ لا يضيفُ إلى القارئ العربي جديــداً... لأنّ الفكرة المطروحة في الكتاب معروفة لدينا نحن العرب... فقــد كتــبَ الكثيرون من المؤرخين العرب حولَ هذا الموضــوع... وصــدرت في مئات الكتب وآلاف المقالات والدراسات والأبحاث... ولكــن أيــن الذي يسمع ويقدر ويعي ما جاءَ في تلك الكتب والدراسات...؟!

ففي الوقت الذي يسعى فيه "الصهاينة" إلى التمسك بأي أثــر لهــم في فلسطين ولو كان زائفاً، نرانا نحن العرب لا نهتم كثيراً بهذا... إذ أننــا كنا نتعامل مع أعدائنا الصهاينة عبر التهويش والصراخ وعدم الاكتراث بقوة هذا العدو، الذي لو نظمنا أمورنا لاستطعنا احتــواءه والــسيطرة عليه...

فمعركتنا مع هذا العدو، طويلة وقاسية وليس من الــسهل أن تنتهي بسهولة... ورغم المعاهدات والاتفاقيات إلا أنّ الأمور ظلت كما هي لأننا لغاية الآن لم نفهم "عدونا" ولن نفهمه ما دمنا نحمــل نفــس العقلية التي حملناها قبل وبعد ضياع فلسطين...

صحيح، أنّ الهم الفلسطيني أخذ مداهُ شرقاً وغرباً، ولكنــهُ لم يلق الصدى المناسب لذلك...!! فإسرائيل توسعت على أرض فلسطين وغيرها من الدول العربية المحيطة بها... وكــان الصــراع شديــــداً ومباشراً... وخاصة في ذروة المد القومي التي نستطيع حصرها في بدايةِ

الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات... وبعدها بدأ الانحدار بشكل رهيب ومتسارع لغاية خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢م، وتشتتهم في أكثر من بلد عربي...!! ولا آتي بجديد حين أشيرُ إلى أنّ تلك الفترة شهدت نشاطاً إعلامياً قوياً، وصدرت مئات بل آلاف الكتب التي تتحدث عن فلسطين وعن حقوق شعبها العربي، وضرورة عودتهِ إلى فلسطين التي اغتصبت منه بقوة السلاح من قبل مجموعاتٍ عدوانية اتخذت من الأساطير ركيزة لدخول فلسطين تحت دعاوى "أرض الميعاد" وكان ذلك بتشجيع الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا وغيرها من الدول الأوروبية، التي رأت في قيام "دولة لليهود" خير حل للتخلص من اليهود القاطنين في بلادهم...

مؤامرة لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، وهي الاستيلاء على أرض ليست لهم، وإحلال شعب مكان شعب بالقوة دون مراعاة لأية قوانين دولية أو أعراف إنسانية...

وحصل كل هذا في غياب الوعي العربي، مما أدى إلى إنزال العديد من الهزائم بالأمةِ العربيةِ، ولينعكس ذلك جلياً على امتداد عشرات السنين... ولكن التحدي كان صعباً وقاسياً وقوياً إلى حدّ لم ينتبه إليه أحد، وتطور إلى ما هو عليه الآن من ضعف، بالرغم من المعاهدات والاتفاقيات التي زادت من صلفِ وغرور عدونا...!!

وقد عثرتُ في أرجاءِ مكتبتي على كتاب، اعتنى مؤلفه عنايـــة كاملـــة ببحث الموضوع الذي طرحهُ الدكتور كيث وايتلام في كتابـــهِ "اختلاق إسرائيل القديمة" حيث اختار مؤلفه قاسم الشواف عنوان "مع الكلمة الصافية" (دراسة فلسطينية) وقد طبع في دمشق عام ١٩٦٩م أي بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م بسنتين... ويبدو أنّ هذا الكتاب تمت طباعته باللغة الفرنسية، رغـــم أنّ المؤلف الشواف لم يشر إلى ذلك إلا أنّ ملاحظة على الغلاف الأخير أكدت ذلك، حيث جاء تحت كلمـــة "من تعليق قارئ فرنسي على الطبعة الفرنسية" جاءَ فيها:

"... فيما يتعلق بالنص، كنت سعيداً جداً ومتحمساً، كم هو بارز فيه كل ما يجب أن يبرز... وكم فيه من المزايـــا... أمـــا مـــادة الكتاب، فإنها غنية وعميقة ودقيقة وجديدة، وهي قوية وعادلة وغـــير متحيزة، إنها فاعلة، وفاعلة مباشرة، كل شيء في هذا الكتاب منفتح، إنه يتطرق لأشياء كثيرة ويزعزع مفاهيم قديمة... إنه يجبر على التطلع إلى الأمور بنظرة جديدة ويدفع إلى التفكير"...

أردت من هذا المدخل، أن أبين إلى أيّ درجة من التقدير يمكن أن يتلقاها القارئ الغربي الذي يقف على الحياد في محاولة لمعرفة الحقيقة عبر الوقائع والأحداث المنطقية والعلمية... والصحيح أنّ العديد مـــن الكتب سارت على هذا النهج، ولكن الإعلام العربي القاصر عن إدراك الحقائق فوت الكثير على القارئ الغربي أن يقرأ عن قـــضيةِ فلـــسطين وشعبها... ففي كل دولةٍ من دول العالم الغربي لنا عشرات الـــسفراء،

الذين لو وضعوا في حساباتهم الاعتناء بالموضوع الفلسطيني لاختلفت الصورة الإعلامية على الأقل اختلافاً كبيراً...!!

جاء هذا الكتاب الضخم في أكثر من خمسمائةِ صفحة من القطع الكبير، وقسمهُ مؤلفهُ إلى قسمين احتويا على العديد من الفصول...

القسم الأول بعنوان: "الكلمةِ الصافية والفكر الميتي" وتحدث فيه حول الفكر الميتي والإنسان البدائي، والفكر الميتي في الوطن العربي القديم، وعن تعرف اليهود القدماء على الفكر الميتي في الوطن العربي القديم، والإطار التاريخي الذي تمّ فيهِ هذا التعرف...

وكذلك عن الفكر الميتي في معتقدات اليهود القدماء، وعن الفكر الميتي والمعتقدات المسيحية، وعن الفكر الميتي في عالمنا المعاصر...

والقسم الثاني بعنوان "الكلمة الصافية، وأرض فلسطين" وجاءت فصولهُ تبحث في مفهوم الإله في الوطن العربي القديم، والإله الذي آمن به يهود، وعن مجازر "المحبة" وعهد يهوه وعن "الوعد" بالأرض وآباء اليهود، وعن يهود الماضي ويهود اليوم، وعن الصهيونية وأرض فلسطين، وعن ما تقوله أرض فلسطين، وعن الاستيلاء الصهيوني على أرض فلسطين، استيطان، تهجير، حرب توسع...

ويهمنا أن نتوقفَ عندَ الفصل الخاص "مجازر المحبة وعهد يهوه" حيث تحدث فيه المؤلف عن "الاستيلاء الأول على جزء من فلسطين" حيث تم هذا الاستيلاء بعدَ "الخروج" من مصر بقيادة موسى، وقد

ذكرنا في القسم الأول، كيفَ أنّ انتشار صناعة الحديد، وتحول هذه المادة إلى أسلحةِ حرب، مكن قبائل غير متحضرة كاليهود القدماء من التسلح ومن الاعتداء على مدن وممالك أرض كنعان، "الأرض التي أريك" ولم يدخل اليهود القدماء أرض فلسطين، دخول من "خرج من مصر" ليأتي إلى أرض كنعان، بكل بساطة ليتسلم ميراثه الذي خصصه له يهوه، بل دامت معارك الاستيلاء زهاء ثلاثمائة سنة انتهت باغتصاب جزء من أرض فلسطين، وإقامة الملكية التي نعرفها...

لقد كان اليهود أناساً طارئين على فلسطين منذ دخولهم الأول إليها وهو لم يأتِ بسهولة... ورغمَ هذا فإنّ اليهود مصرون، رغم باطلهم وزيف تاريخهم بالادعاء بأنّ فلسطين هي موطنهم منذ أقدم عصور التاريخ، وهي أرض الميعاد... ولهذا ليس غريباً أن يكرسوا هذا الوعد الخرافي، باحتلال فلسطين وإقامة دولة إجرام وعدوان كما هي في طبيعتهم وعاداتهم... وما الجرائم التي ارتكبوها عبر التاريخ والتي نظمت على سياق واحد إلا أكبر شاهد على ذلك...!!

هذا كتاب ألفه صاحبه الإنجليزي الجنسية منذ ســتة عقــود ونيف، كتبه في ذروة الصراع العربي الصهيوني سنة ١٩٣٨م، في محاولةٍ من صاحبهِ لإضاءة شمعة في سبيل إبراز الحق العربي في فلسطين الجريحة، ولفت نظر الرأي العام البريطاني على ما ترتكبه الحكومات البريطانيــة آنذاك من جرائم وأخطاء ضد الشعب العربي الفلسطيني فــوق وطنــه وأراضيه...

كانت صرخة تحذير مدوية ومخلصة أطلقها الكاتب، الذي كان على اطلاع كامل بما يجري في فلسطين، عسى أن يعي المــسؤولون في بريطانيا إلى الخطأ الجسيم الذي يرتكبونه علناً ضــد الــشعب العــربي الفلسطيني فوق وطنهِ، بدعمهم للصهاينة الذين كانوا يخططون في سبيل احتلال فلسطين، وتثبيت أقدامهم فيها، وإقامةِ دولة لهم على حــسابِ شعب آخر... وهذا الكتاب من الكتب القليلة التي كتبت للدفاع عن الحق العربي في فلسطين، بأسلوب علمي موثق بعيداً عــن العاطفــة... وهو من تأليف الكاتب البريطاني ج.م.ن جغريز، وقد نشر في لندن سنة ١٩٤٤م وقام بترجمته الأستاذ أحمد خليل الحاج، وهو فلسطيني مقيم في القاهرة، وتم نشره في الهيئة المصرية العامــة للتــأليف والنــشر ســنة ١٩٧١م...

وقد أشار المترجم إلى أهميةِ هذا الكتاب، حيث قال: " أقل ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه كالدرة اليتيمة التي لا يحط من قيمتهــا تــوالي الأحقاب، فبالــرغم من أنّ سنين طويلــة مرّت على نشــرهِ

لأول مـــرة بلغتهِ الأصلية الإنجليزية، فإنّ كل شيء فيه ما زال يحـــتفظ بطابع الجدة، ومرجع ذلك إلى أنه لا يتنـــاول المـــشكلة الفلـــسطينية كمشكلةٍ سياسية وحسب، بل كجريمةٍ دبرت عن عمد، واقترفت مـــع سبق الإصرار والترصد، وبدافع قد لا تكون خافية علينا، ولكننا لا نملك عليها أدلة قاطعة، لأنّ الجناة قد فعلوا كل ما بوسعهم لإخفـــاءِ هـــذه الأدلة، بهدف طمس معالم هذه الجريمة"...

وقد استطاع الكاتب بما توفرَ له من سعة الاتـــصال بـــدوائر الحكومة البريطانية، بحكم عمله كصحفي، وبحكم صداقاته مع أناس في الإدارة البريطانية ذوي ضمائر حية، أن يحصل على هذه الأدلـــة مـــن الخزائن الحديدية السرية للجناة، فصاغ منها وثيقـــة اتهـــام دامغـــة... وطالبَ الشعب البريطاني أن يتبوأ منصة القضاء، وأن يعقـــد محكمـــة للجناة الذين اقترفوها باسمه، وتطوع هو نيابة عن التـــاريخ والـــشرف والكرامة الإنسانية والضمير الإنساني والحق العام، بتمثيل هذا الادعـــاء العام...

فهذا الكتاب يعتبر وثيقة مهمة، أحصت على الجناة الآثمين كل حركة وسكون، وكل خطوة خطوها في سبيل اقترافهم جريمتهم الأولى أو الجريمة الصهيونية، وتواجههم بها مواجهة ألجمت أفواههم من قبل...

والواقع أنّ هذا الكتاب قد تمت محاربته ومقاطعته، حين علمت به قوى الشرّ من صهاينة وإنجليز، حيث قاموا بشراءِ طبعات كاملة منه فحرقوها، وحين تبين لهم أنّ هذه الوسيلة ليـــست نافعـــة لجـــؤوا إلى

المكتبات البريطانية والأمريكية والفرنسية فاشتروا ذممها بعمولـــة عـــدم بيعه، على أن تكدس الكتاب لديها، إنّ هذا الكتاب يعالج أساساً كيف وضعت فلسطين تحت حكم حكومة لكي تقيم فيها "وطناً قومياً لليهود" يصبح فيما بعد ــ كما بيت له ــ دولة يهودية...

وهو كتاب مؤلف من أربعين فصلاً كاملاً، ويقـــع في أصـــلهِ الإنجليزي في ٧٢٨ صفحة من القطع الكبير، بالإضافةِ إلى مقدمة مـــن اثنتي عشرة صفحة، حيث أشار في المقدمة إلى الأسباب والدوافع الـــتي حدت به لكتابة هذا الكتاب وجاء فيها:

" بالرغم من أنّ عالم اليوم في هذه الأشهر الأخيرة مـــن عـــام ١٩٣٨م فيه كثير مما يخجل، فإنه لا شيء فيه أدعى إلى الخجل من حالة فلسطين...

لقد ظلت الديار المقدسة تخلص من نهاية إلى نهاية بالدم، وظلّ المذياع يحمل العشية تلو العشية أنباء عن مصادمات جديدة وكمـــائن جديدة... ورغما عن اغتيال جديد وقع في الأرض المقدسة التي درجت عليها في يوم من الأيام قدما المسيح...

ولكن بقدر ما تزيد هذه الأحداث المؤسفة من حزننا يتحـــتم علينا أن نتقصى الأسباب التي تمخضت عنها هـــــذه الأحـــداث، إنّ الاغتيال السياسي هو بالذات نتائج لأقـــصى درجـــات الـــسخط... وبالرغم من أنه ليس هناك من شيء يبرر اقترافه، فإنه قبل أن يصبح أمراً مألوفاً في دولةٍ من الدول، لا بدّ أن يكون خلل عميق قد اعترى جهاز

تلك الدولة، وظلّ مستشرياً فيها لمدة طويلة من الزمن، وتكشف جميـــع الوسائل المعمولة في المطالبة بإصلاح هذا الخلل، على أنها وســـائل لا تجدي نفعاً، وليست بذات قيمة، هذا ما قد حدث لـــسوء الحـــظ في فلسطين، إنّ العرب أهل هذا البلد، يعانون من ظلم فادح مـــا بعـــده ظلم... لقد سلبناهم حقهم في توجيهِ مصائرهم، وفرضنا عليهم نظاماً غريباً من نظم الحياة، وقد جربوا طوال عشرين سنة حـــتى الآن، كـــل شكل من أشكال المناشدات السلمية، مطالبين برفع هذا البغي عنهم... لقد جربوا جميع أنواع المقابلات والالتماسات، والاجتماعات الجماهيرية والتصريحات العلنية، والاحتجاجات التي تقدم لعصبة الأمم، والبعثـــات المتكررة التي ترسل إلى انجلترا، ولكنها جميعاً ذهبت أدراج الريـــاح، ولم ترفض التماسات العرب هذه فحسب، بل إنّ أحداً لم يعيرهـــا مجـــرد الاهتمام في حدّ ذاته، فلم يسمح لهم في يوم مـــن الأيـــام أن يعرضـــوا قضيتهم كاملة أمام محكمة الرأي العام، أو أمام أيّ محكمة دوليـــة لهـــا سلطة إصدار حكم مؤسس على الحقائق...!!

والسبب الرئيسي في هذا هو أنّ قضية العرب قد أخفيت منذ اللحظة الأولى عن أسماع محكمة الرأي العام، ولو أنهم كسبوا قـــضيتهم هنا "لدى رأينا العام" لوضع حل عادل لهذه القضية في مكـــان آخـــر، لكـــنّ العرب لم يتمكنوا حتى هذه اللحظة من تعريفِ النـــاس تعريفـــاً كاملاً بقضيتهم، وبخاصة في بريطانيا العظمى، حيث كان من الضروري جداً أن تكون معروفة "...

إنّ مؤلف هذا الكتاب يضعنا أمام حقائق مذهلة... فهو أراد صادقاً أن يعرض قضية عرب فلسطين أولئك الذين قوبلوا بالقوة والعنف والإصرار على سلب وطنهم، وحرمانهم منه تحت دعاوى باطلة...

جاءَ الكتاب في اثني عشر فصلاً، يغطي الفـــصل الأول فيــه المراحل التاريخية الأولى على أرض فلسطين، حيث أكد المؤلف حسب الحقائق التاريخية التي قدمها عبر العديد من النصوص والوقائع التي تؤكد أنّ فلسطين عربية منذ أن بدأت الحياة فوقها... واليهود ما كـــانوا إلا زواراً طارئين فيها، وقد اعتمد المؤلف في ذلك على بعض النصوص من الكتب السماوية، وكذلك على دراسات موثقة لمجموعة مـــن العلمـــاء الذين اهتموا بتاريخ هذه المنطقة من بريطـــانيين وأمريكـــان... إذ أنّ الحقيقة لا يمكن أن تخفى على أحد، مهما حاولت قوى الشرّ والإجرام طمسها...!!

وفي الفصل الثاني من الكتاب "جنس العرب العظيم ــ امتلاك فلسطين ضروري لتمدده" حيث أشارَ إلى أنّ فلسطين ليست إلا جـــزءاً من وحدة سورية الطبيعية الأشمل، وأنّ سورية نفسها جزء لا يتجزأ من الإرث العربي العظيم، وأنّ الادعاء الذي تذرع به الـــصهاينة لـــدخول البلاد "رابطتهم التاريخية" هذه الأرض، لا يمكن أن يـــستخدم عـــدلاً وإنصافاً لإلغاء ملكية سكانها لها، الذين يملكون رابطـــة تاريخية أعـــرق وأقدم من هذه الرابطـــة، بدرجـــة لا تجـــوز معهـــا المقارنة... وبيّنا في النهاية أنّ الصهاينة أنفسهم قد فضحوا تقـــديرهم المـــستبطن لهـــذه

الرابطة التاريخية، بإعادة بناء "وطنهم القومي" في مكان لم يكن للجنس اليهودي في يوم من الأيام وطن في معظـــم أجزائـــه... وأعـــود الآن للحديث عن العرب الذين يوصفون في فلسطين بهذا الاسم خالصاً طوال هذه الثلاثة عشر قرناً الأخيرة، إنّ من الغريبِ أن يقال إنّ هذا الاســـم الذي يحملونهُ مثلبة ونقطة ضعف بينة في جانبهم، وإنّ قلة من النـــاس نسبياً تعرف شيئاً عن ماضي العرب العظيم، إننا نحن الأوروبيين نـــدين لهم بأكثر مما نتصور، لقد قادوا العالم نحوا من ثلاثمائة عـــام في طريـــق الحضارة...

لقد نسينا في هذهِ الأيام مآثر العرب الخالدة، وجاز لدينا تدمير الأتراك لحضارتهم، وكأنه نتيجة مترقبة على اضمحلالها، وما من جنس آخر قد صادف حظاً سيئاً في التاريخ كهذا الحظ الذي صادفه العرب، إلى حد أنّ يحقق في تاريخهِ نفس أولئك الذين اضطهدوه...!!

إنّ هذا الكتاب رسالة حق أرادَ المؤلف أن يوجهها إلى أبنـــاء جنسه في بريطانيا، وإلى العالم الذي أغمض النظر عن الحقيقة فما عـــاد يهمه أن يظلم شعب فوق ربوع وطنه...!!

ما يحدث في هذه الأيام في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وخاصة بمدينة القدس من تمهيد لإنشاء مستوطنات جديدة في جبل أبو غنيم وفي رأس العامود، وفي مناطق أخرى على امتداد القرى والمدن الفلسطينية، يدفعنا إلى البحثِ عن حقيقةِ ما يجري في الداخل من أحداث دامية لا تكاد تصدق، وخاصة بعد استلام السلطة الفلسطينية لمسؤولياتها على جزءٍ من الأراضي الفلسطينية المحتلة، والكتابة عن القضيةِ الفلسطينية كان وما زال يأخذ أبعاداً كبيرة وذلك لسبب بسيط أنّ فلسطين ما زالت تعاني من الاحتلال الصهيوني، ويكابد أهلها من جرّاء ذلك الأمرين في وقت اعتقدوا فيه أنهم سيتحررون من القبضة الصهيونية في ظلّ السلطة الفلسطينية، ولكن الأمور على ما يبدو ازدادت تعقيداً. . .!!

إذ أنّ الصراع العربي الإسرائيلي سيظل قائماً إلى الأبد، ما دامت إسرائيل تتعامل بمنطق القوة والسيادة والعقلية الاستيطانية التي يبدو أنها لن تتخلى عنها، ما دامَ العرب على وضعهم الحالي من خلافات وضعف يضعهم في خانةٍ ضيقة، لا يستطيعون خلالها عمل أي شيء ينقذهم من جبروت أعدائهم. . .

وقد تنبه العديد من الكتاب والمؤرخين والمفكرين إلى خطورة هذه الأوضاع، وإلى إصرار إسرائيل على أن تبقى فوق الأراضي المحتلة، حتى بعد توقيع اتفاقية أوسلو في الحفاظ على المناطق والمواقع الاستراتيجية، لتحكم قبضتها على مناطق السلطة الفلسطينية، رافضة أي انسحاب جديد من هذه الأراضي. . .

وهذه المقدمة كتبتها إثر قراءتي كتيباً بعنوان "الذاكرة... كتابات تنشر لأول مرة" وهذا الكتيب صادر في القاهرة بدون تاريخ، وإن كان على الأرجح قد صدرَ بعد الاجتياح الإسرائيلي لبيروت عام ١٩٨٢م... وكأنّ الذين كتبوا فيه وعلى رأسهم أحمد بهاء الدين وإحسان عبد القدوس وفتحي رضوان وجميعهم صاروا في ذمة الله... أرادوا أن يشعرونا أنّ الكتابات المنشورة فيه كتبت للمستقبل وللأجيال القادمة... حيث جاء في مقدمة الكتاب:

"إنّ الذي يحدثنا الآن هو التاريخ، وليس تهيؤات بعض المتشائمين... إننا في كل ضربة توجه إلينا نكون في أشدّ الحاجة إلى أن نستدعي خبراتنا أثناء مواجهتها، ولكننا دائماً نكون منغمسين في جزيئات الحاضر إلى درجة تمنعنا من الربط بين الأشياء، بين ما حدث بالأمس وما يحدث اليوم، وتمنعنا من إدراك مصيبتنا أكبر من مجرد مجموع جزيئاتها...

إنّ الواقع مؤلم، ولكن الأشد منه إيلاماً أننا لا نعي دروس تاريخنا رغم فداحة ثمنها بالنسبة لنا، فكل درس نتلقاه في مقابلة جزء من شعبنا، ومن أرضنا ومن كرامتنا ومن حقنا في الوجود "...

الذاكرة هو اسم هذا الكتيب الذي يحاول أن يعيد إلى الأذهان البديهيات التي نسيها أو تناساها البعض عن تاريخنا وبالتالي عن حاضرنا...

إنّ هذا الكتاب يوضح أنّ ما حلّ بالعالم العربي على يد الصهيونية ليس مجموعة متفرقة من الأحداث المؤسفة، وإنّ تسلسلها بهذا الشكل ليس مصادفة، وإنما كل هذا يدخل في إطار المخطط الصهيوني الذي يزحف خطرهُ علينا بسرعة أكبر من مجرد قدرتنا على إدراك ذلك... هذا هو الدرس الذي آن الأوان لأن نتعلمه، كل تأخير في ذلك يعني إضافات جديدة إلى قائمة ضحايانا...

وما مرّ بنا خلال عدة سنوات، وخاصة بعد اتفاقيات كامب ديفيد وأوسلو يبين لنا أنّ المخططات الصهيونية يجري تنفيذها أولاً بأول بكل قوة، ضاربين عرض الحائط بكل الاتفاقيات، تلك الاتفاقيات التي وضعت لخدمة الصهيونية ليس إلا...

وقد حوى الكتيب على أهم الأحداث التي مرت بالصراع العربي الإسرائيلي بدءاً من المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧م، ومروراً بوعد بلفور سنة ١٩١٧م وحرب ١٩٤٨م المؤامرة البريطانية الصهيونية لاحتلال فلسطين، وإقامة دولة يهودية فيها، وعن مذبحة الأطفال في دير ياسين سنة ١٩٤٨م...

والاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م...

وعن انطلاقة الثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥م وعن احتلال الصهيونية لسيناء والضفة وغزة والجولان سنة ١٩٦٧م...

وعن حرب الاستنزاف سنة ١٩٦٩م...

وعن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م واقتحام خط بارليف، وعن المخطط الصهيوني في لبنان وفي الأعوام ١٩٧٥م ولغاية ١٩٨٢م... وعن اتفاقية كامب ديفيد وما بعدها سنة ١٩٧٨م...

وعن اقتحام القوات الإسرائيلية للبنان عام ١٩٨٢م، وصمود بيروت في وجه الوحشية الصهيونية...

وبمناسبة مرور مائةِ عام على المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل بسويسرا، نجد من واجبنا إلقاء الأضواء على هذا المؤتمر الذي جاء ليؤكد على:

١- إقامة استعمار يهودي في فلسطين...

٢- إنشاء منظمة تربط يهود العالم، من خلال مؤسسات في كل دولة تضم يهوداً...

٣- تقوية الشعور القومي لليهود...

٤- الحصول على موافقة دولية لتحقيق أهداف الصهيونية...

وشرع الصهاينة في إقامة المستوطنات على أرض فلسطين بالاستعانة بنفوذ القنصليات الأوروبية هناك، وارتفع عدد تلك المستوطنات من ٤٧ مستوطنة عام ١٩١٤م إلى ٢٧٤ مستوطنة في عام ١٩٤٩م...

واستمرّ عدد المستوطنات في ارتفاع بالرغم من المحاولات، بما في ذلك اتفاقية كامب ديفيد التي لم تمنع النشاط التوسعي الصهيوني وكذلك اتفاقية أوسلو...

ونتوقف عند تساؤل الأستاذ الراحل أحمد بهاء الدين:ــــ الذاكرة لماذا...؟! ألقى فيه الأضواء على هذا الموضوع المهم حيث يقول:

والإنسان هو حيوان له تاريخ، ذلك ما يميزهُ عن سائر المخلوقات فهو من التاريخ يستنير التجربة ويستخلص العبرة ويجدد في البناء ويطور في أنماط الحياة، ولا يقع في الشرك الواحد ــ كالحيوان ــ ألف مرة دون أن يتعلم لأنه بلا ذاكرة أي لأنه بلا تاريخ...!! وتاريخ كل شعب كان يحفظ قديماً في صدور الرجال وتتوارثه الرواية جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، كما حفظتهُ المباني والنقوش على الحجر والصناعات، فمنذ أقدم حضارة كحضارة قدماء المصريين، لا نجد تفسيراً لهذا الاهتمام العظيم في تدوين حياتهم على الصوّان والبازلت إلا رغبة غريزية في الإنسان، ويحكم هذا العقل في أن يترك للقرون الآتية قصص حياته وتجاربه، مغذية بذلك ذاكرة الآتين بعده ثم صارت هذه التواريخ تدون في الكتب وفي الصحف بالملايين...

ولو تأملنا قصة إسرائيل ذاتها، لوجدنا إلى جانب كونها قامت بجهد استعماري في الدرجة الأولى، أي بمال أوروبا ثم أمريكا وسلاحها... إلا أنها جمعت هذا كله حوله، ذاكرة ما... حتى لو كانت ذاكرة أسطورة لا أكثر...

فمنها أسطورة أنهم شعب الله المختار، وأنهم دخلوا في "عقد مع الله" منحهم به هذه الأرض التي صار اسمها فلسطين وما حولها، وإنّ

تعلق الشعب اليهودي بهذه الأسطورة، واحتفاظهم بما في ذاكرتهم أقاموا تلك الدولة بصورتها التي نراها الآن... مزقتهم الأحداث وفرقتهم في الشتات العالمي آلاف السنين، ولم يعودوا شعباً واحداً لا بالدين ولا بالعرق، ولكنهم جميعاً "ذاكرة" واحدة جعلت البولندي يلتقي مع الإنجليزي مع المغربي واليمني في خيط واحد هو هذه الذاكرة... وكان الحلم أن يقوم لهم مأوى آمن بلغتهم هم يعيشون فيه بمنأى عن الاضطهاد...

متجرد من خطاياهم وخطايا كل البشر، ولكنه تحقق في صورة "دولة" مدججة بالسلاح، دولة شريعتها السيف... دولة تلتزم بالدم والحديد والنار...

باختصار، لقد ألقى هذا الكتاب الأضواء على الحركة الصهيونية، التي يبدو من خلال ممارستها ومخططاتها ماضية في تنفيذها ما تريده، ما دام العرب متفرقين مشتتين، ليست لديهم خطة موحدة لوقف السرطان الصهيوني من التغلغل أكثر فأكثر في الجسم العربي...!!

يهمني أن أتوقف هنا، عند دراسة طويلة للكاتب الإسرائيلي يراح جوفر بعنوان "هل كنت هناك... أم أنّ ذلك كان حلماً..."...؟!

أعباء أيديولوجية على الأدب الإسرائيلي، ترجمة سحر سليم الهنيدي... هذه الدراسة التي جاءت لترصد شريحة من الكتاب الإسرائيليين، وخاصة في مجال القصة والرواية، تحلل بعض كتاباتهم، وتحاول الإجابة عن أسئلة كثيرة دارت في ذهن الكاتب... تماماً كما دارت في أذهان الكتاب الآخرين حول ما جرى في فلسطين من أحداث دامية، يندي لها الجبين الإنساني خجلاً... وقد أورد الكاتب الإسرائيلي انطباعه الشخصي حول بعض عمليات "الذبح" التي ارتكبت ضد السكان العرب في فلسطين، وساهم بها إن لم يُشر إلى ذلك صراحة... وقام برصد المدارس الأدبية في "إسرائيل" وقسّمها إلى ثلاثة أجيال عبر مراحل تاريخية بارزة تبدأ سنة ١٩٤٨م وتنتهي مع غزو لبنان سنة ١٩٨٢م، اتسمت أفكارها بالعنف والكراهية ضد العرب...

وقد قرأت هذه الدراسة أكثر من مرة، في محاولة لاستيعاب ما جاء فيها من معلومات خطيرة، وأحداث جسيمة جاءت على لسان كاتب صهيوني، أرّقه ما جرى ويجري في الساحة الصهيونية من وقائع وجرائم بشعة لا مثيل لها...!!

فما جرى في فلسطين منذ بداية هذا القرن، حتى هذه الأيام على أيدي البريطانيين في بادئ الأمر، ومن ثم الصهاينة مع قيام دولة

إسرائيل بمباركة بريطانيا والدول الاستعمارية، يتسم بطـابع الوحـشية والإجرام الذي فاق كل وصف...

والصحيح أن غرز الصهاينة في فلسطين لم يأتِ صدفة، بل تم التخطيط له بقوة ودهاء، حتى تكون "إسرائيل" الذراع الفولاذية الـتي تمتد بسهولة إلى أية جهة في أرجاء الوطن العربي، بدعم ومباركة القوى الاستعمارية الغربية... فنحن بحاجة إلى الاطلاع علـى مثـل هـذه الدراسات، التي تفضح وبقوة العقلية الصهيونية ذات التفكير الإجرامي، الذي انعكس على جميع مناحي الحياة في "إسرائيل" وصارت تـشكل جانباً مهماً في شخصية "الصهيوني" إن كان مواطناً عادياً أو أديبـاً أو عالماً أو جندياً، فالأفكار التي زرعتها الصهيونية في عقول أبنائها ظلـت تترعرع وتكبر، لتحطم كل شيء جميل ورائع أمامها... ومـا جـرى لفلسطين وأهلها خير شاهد على ذلك...!!

فالسؤال الكبير الذي كان وما زال وسيظل يتردد علـى مـرّ الزمان: ماذا ارتكب الشعب العربي في فلسطين، حتى يكـون عرضـة لهجمة استيطانية رهيبة، سقط فيها الآلاف من الأبرياء، وحرم شـعب بأكمله من حقه الشرعي والطبيعي في وطنه...؟!

مفاهيم خاطئة

والمفاهيم السائدة عند الصهاينة، والذين يحاولون دائماً أن يرسخوها في أذهانهم وأذهان أولادهم والعالم، أنّ العرب هم الذين حملوا السلاح ضد الصهاينة، وهم الذين ارتكبوا الجرائم ضد اليهود...

وهو ادعاء لا أساس له من الصحة، فالعرب في فلسطين لم يُشهروا السلاح، إلا بعد أن رأوا الخطر يتهدد وجودهم ووجود وطنهم الحبيب... فقد ثاروا ضد قوى الشر والعدوان، وهو حق طبيعي لهم... ومع هذا لم نسمع أنهم قتلوا طفلاً أو امرأة... أو هاجموا شخصاً أعزل من السلاح، فقد كانت ثورتهم قائمة على أساس الدفاع عن النفس، وليس رغبة في الانتقام...!!

في حين أن أعدائهم من البريطانيين والصهاينة قاموا بتنفيذ أبشع الجرائم ضدهم... قتلوا الأطفال والنساء والشيوخ والشباب العزل من السلاح... ودمروا المنازل والأحياء السكنية، ولم يتركوا مواطناً عربياً إلا وزجوا به في أعماق السجون دون أي ذنب اقترفه... وعلقوا مئات الأشخاص على أعواد المشانق تحت تهم باطلة...

ورغم هذا يأتي الصهاينة ليزوروا التاريخ، إذ لا يكفيهم ما ادعوه في حقهم بفلسطين العربية... ذلك الادعاء الذي لا سندَ له من التاريخ أو المنطق...

على أي حال دعونا نقرأ ما كتبه الصهيوني يراح جوفر مـــن تحليل صريح وجرئ لما جرى في فلسطين قبل عـــام ١٩٤٨م ولغايـــة اليـــوم حتى تتضح أمامنا الصور ونؤكد للعالم من جديد ـــ من خلال شهادة عدوـــ انّ الشعب الفلسطيني كان ضحية الغدر، وضحية القـــوة المسلحة والتخطيط الاستعماري المحكم، والعنف الشديد...

وهذه الدراسة التي جاءت بعد أربعين عاماً، كتبت بقلم كاتب صهيوني كان مبهوراً بالانتصارات الوهمية التي حققها قادة إسرائيل بالنار والدم، ولكنه بعد فترة من الزمن يكتشف زيف ذلك، وتبدو الحقـــائق أمامه كوابيس مخيفة، بعد أن رأى أنّ الأدب الإسرائيلي مُسخّر للحديث عن الانتصارات الوهمية التي حققها الصهاينة ضد العـــرب... ووجـــد أيضاً أنّ كل الأجيال الأدبية في "إسرائيل" سخّرت "عبقريتها وموهبتها" من أجل نفث سمومها ضد العرب...!!

فالأدب الإسرائيلي باختصار أدب حاقد يحاول أن يـــزرع في نفوس الناشئة كراهية العرب، ويدربهم على العنف من أجل قتل كـــل عربي إن كان طفلاً أو امرأة أو شيخاً... لا يهم...!!

قصـــة إجـــرام

في البداية يسجل لنا الكاتب يراح جوفر قصة حياته بشيء من الإيجاز، منذ أن تخرج من المدرسة الأرثوذكسية الابتدائية المحليـــة في سنة ١٩٤٥م، وكان عمره آنذاك أربعة عشر عاماً، وبعدها التحق بمجموعة

الشباب بكيبوتزهات شومير... وفي خريف ١٩٤٧م ترك هذه المجموعة، وفور صدور قرار الأمم المتحدة في نوفمبر سنة ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية انضم إلى المليشيا السرية المحلية...

ويمضي قائلاً:

"... وفي سنة ١٩٤٨م أصبحتُ جندياً نظامياً في الجيش الإسرائيلي كان عمري آنذاك سبعة عشر عاماً...

في شتاء ١٩٤٨م تمركزت وحدتي في بلدة عربية رئيسية على الجبهة الجنوبية الغربية، وهي بلدة كان الجيش المصري قد انسحب منها مؤخراً... وحين دخلنا البلدة [1] وجدناها نصف خالية، ولكن الآخرين كانوا لا يزالون يعيشون في منازلهم، وكانت مهمتنا أن نمنع أياً من السكان العرب اللاجئين العودة لمنازلهم، التي لم تكن قد أصيبت بأضرار...

ذات صباح أرسلت بصحبة مجموعة صغيرة من الجنود مع رجلين مسنين من البلدة، كانا يركبان عربة يشدها بغل وكان معهما سلم...

سرنا عبر الكثبان وبساتين البرتقال، تاركين القرى العربية على الجانب الجنوبي من القرية، وفي مكان معين قابلنا مهندس ألغام إسرائيلي كان منهمكاً بعمله، وفي كل مرة كان يعطي فيها إشارة بأنّ الطريق آمنة، كان الرجلان العربيان يتقدمان ويضعان جثة آدمية على

السلم، ويحملانها ثم يدحرجانها في العربة، وفي كل مرة كانا يقومان بتلك الحركة، كانا يصرخان "اقلب" بالعربية...

وحينما كانت العربة تتكدس بالجثث، كان الرجلان العربيان يعودان إلى مقبرة البلدة لتفريغ الحمولة، وهناك كما لا أزال أتذكر بوضوح كانت امرأة عربية كبيرة الحجم، حامل، تغسل الجثث وتجهزها للدفن... وبينما كانت تقوم بمهمتها كانت بين الحين والآخر تتبادل بعض الكلمات مع الرجلين اللذين استمرا في تفريغ الحمولة من الجثث، وكثيراً ما كانت عيناها تغصان بالدموع التي تنساب بصمت على وجهها، وتكاد تخنقها، ولكنها استمرت في غسل الجثث متفحصة جروحها كأنما لا يزال بمقدورها أن تشفي أصحابها... وتعيد إليهم الحياة... من المؤكد أنّ المرأة والرجلين اللذين كانا يعملان معها كانوا يعرفون أولئك الأشخاص، ويحتمل أنّ العديد منهم كانوا جيراناً لهم، وأنّ بعضهم أصدقاء... وربما كان بعضهم الآخر من ذوي القربى الوثيقة... وفي الوقت نفسه كانت الجثث هناك على الطريق القذرة

---

(١) إنّ الوصف الذي يذكره الكاتب، ينطبق على مدينة المجدل التي احتلها الإسرائيليون يوم ١٩٤٨/١١/٥م...

المؤدية للبلدة، ممدودة على الأرض في انتظار العربة، كان بإمكاننا ونحن نقف هناك أن نستعيد لحظاهم الأخيرة في أذهاننا...

كانــوا قد جاءوا في الليل، آملين أن ينسلــوا إلى البلدة تحت جنح الظلام، ومن الواضح أهم كانوا يعرفون جميع الطرق المختــصرة والأزقة المؤدية للبلدة تمام المعرفة... ولكن مهندســي الألغــام كــانوا بدورهم يعرفون ذلك، كان شريط معدني دقيق جداً قد عبر الطريق على ارتفاع ثلاثة أقدام عن الأرض، حتى لا يفجره كلب أو حيوان صــغير، وفي حال تنشيط اللغم ــ كان سينفجر ــ ناشراً شظاياه بشكل أفقي، لإصابة الهدف في جوفه، وذلك "لتحقيق أفضل النتائج"... وبالفعل فقد كانت النتائج مؤكدة، لم يتح لأي من المصابين أن يعيش الليــل، لقــد استطاع بعضهم بعد أن أصيب أن يترنح إلى أقــرب مــترل لطلــب المساعدة، ولكن البيوت كانت خاوية، هناك جلس هؤلاء على المدخل الرئيسي، ونزفوا حتى الموت، بعضهم ركض مسافة مذهلة حتى خانتــه قواه... فتهاوى ساقطاً على وجهه، وآخرون سقطوا علــى الفــور في مكانهم، ولم يقوموا البتة...

ومع ذلك ورغم تلك الكفاءة الوحشية، فإنّ محاولات التسلل لم تقف أبداً، وأخيراً تمّ وضع جميع من تبقى من سكان البلــدة علــى شاحنات ونقلوا إلى الجانب الآخر من الحدود إلى "الجانــب الخــاص بهم"...

مخلفين وراءهم ممتلكاتهم، فخلال بضعة أشهر ستصبح تلك البلدة المهجورة ذاتها بلدة يهودية...

كان ذلك إذاً بعضاً مما عشته في سن كان من المفروض فيها أن أتخرج من المدرسة، لقد احتجت خمسة وثلاثين عاماً لكي أستخرجه من قبور عقلي الباطن، وحينما فعلت بدا لي وبشكل غريب وكأنه يشبه الأدب...

وفيما بعد، حينما كنت أراجع الأدب الذي يعرض في الصفحات التالية، خطر على بالي أنني كنت واحداً من ذلك الجيل الذي صور فيه، لقد أدركت أنه كان بإمكاني حقيقة أن آخذ مكان معظم الأبطال الروائيين المتنوعين في القصص والروايات التي كتبت في "إسرائيل" منذ ١٩٤٨م، وحتى الآن...

إنّ حياة جميع الأشخاص الذين يحتلون ذلك الأدب، في السن في الاسم، في الظروف، في المكان في النمو في الطموح في النجاح في الفشل، وفي جميع ملامحها تكاد تكون منسجمة تماماً مع حياتي... لذلك ليس ثمة عجب في أني وجدت ذلك الأدب "المادة التجريبية" التي احتاجها للقيام بالتحليل التالي للمجتمع الإسرائيلي، وهذا التحليل لا يحاول أن "يثبت الوقائع" إنه فقط يوضح بعض الخصائص التي وجدتها تفرض نفسها بقوة...

وفي محاولةٍ لإلقاء بعض الضوء على الأدب العبري من وجهة نظري الخاصة، فقد فتنت حينما وجدت كم أصبح هذا الأدب في

الأجيال الجديدة نزاعاً إلى أن يكون شكاكاً وانتقادياً ومتحدياً وبالأخص منذ الستينات، غير أنني ولدهشتي وجدت في آخر الأمر أن كل هذه الشكية هي بمثابة "جعجعة بلا طحن"...

إنّ تحليلي يعتمد على أعمال سن يزهار، وأ. ب يهوشع، وعاموس أوزي، وعمنون دانكر، وجميع هؤلاء كتاب معاصرون تنحصر أعمالهم ما بين عام ١٩٤٨م واليوم، وعن طريق هذا العمل الأدبي أردت أن أقدم بصورة جد مؤثرة، ما يبدو لي الصورة المسيطرة في "إسرائيل" اليوم وهي عملية تشريب القيم التي تبرر الغزو، عملية تجريد النفس من الصفات الإنسانية من خلال تجريد "الآخر" من تلك الصفات"...

ويخلص إلى القول:

" وأخيراً، بعد أخذ كل الحقائق بعين الاعتبار، لا يسع المرء إلا أن يشهد كيف أن المضطهَد (بفتح الهاء) قد أصبح في آخر المطاف هو المضطهِد (بكسر الهاء) كيف تعلم الناس أن يبرروا ويعقلنوا إطلاق النار، وجرح وقتل جميع المدنيين الأبرياء، وكيف أنّ نظامهم السياسي "الإسرائيلي" قد حول حياتهم إلى حالة دائمة من الهروب وأحلامهم إلى كوابيس "...

وأخيراً،

لا أريدُ أن أعلق على هذه المقدمة التي جاءت لتضعنا جميعـــاً أمام حقائق مذهلة، عن وحشية وعنف الأداة الصهيونية التي صـــارت أيضاً تشكل لأصحابها مشاكل لا حصر لها، كالنـــار تأكـــل بعـــضها بعضاً...

وحشية تجاوزت الحدود والأعراف الإنسانية...!!

فشعب فلسطين لم يخرج من وطنه برضاه، وهذه الشهادة التي ثبتناها بخصوص أهالي بلدة "المجدل" أكبر شاهد على ذلك... وإن مثل هذه الجرائم البشعة مورست ونفذت في قرى ومدن كثيرة على امتـــداد رقعة الوطن الفلسطيني...

* مجلة "الثقافة العالمية " العدد الرابع والثلاثـــون ـــ ١٩٨٧م ـــ المجلـــس الـــوطني للثقافة والفنون والآداب... الكويت...



تقارير من الأراضي المحتلة

العدوان ما زال مستمراً على الشعب الفلسطيني:

في أحدث تقرير لهيئة الاستعلامات الفلسطينية

٢٧٣٨ شهيداً منهم ٥٠٩ أطفال و١٨٥ طفلة وامرأة فلسطينية

أكدت الهيئة العامة للاستعلامات بمدينة غزة أنّ تصاعد العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني منذ اندلاع انتفاضة الأقصى وعلى مدى ٣٧ شهراً من عمرها أدى إلى استشهاد ٢٧٣٨ شهيداً وإصابة ٣٧٦٦٤ جريحاً و ٧٥٠٠ أسيراً و٣٠٢ ألف عامل عاطل عن العمل والاستيلاء على ١٦٥٩٥١ دونماً لصالح الجدار الفاصل...

وأشارت إحصائية لمركز المعلومات الوطني بالهيئة نشرتها صحيفة القدس المقدسية أنه من بين الشهداء ٥٠٩ من الأطفال و ١٨٥ من الإناث، ووصل عدد ضحايا عمليات الاغتيال غير القانونية إلى ٢٠٨ من المواطنين مستهدفين، في حين سقط ٧٨ شهيداً من غير المستهدفين، وسقط من أفراد الطواقم الطبية والإنقاذ ٢٦ شهيداً و ٢٢٠ من كوادر الحركة الرياضية، وبلغ عدد الانتهاكات ضد الصحافيين ٦٤٨ حالة اعتداء سقط خلالها ٨ من الصحافيين بينهم أجنبيان، وإصابة

عدد كبير منهم، واستشهد ٩٩ مواطناً مــن المرضــى علــى الحواجز العسكرية التي بلغ عددها ١٨٠٣ حواجز نتيجــة العراقيـــل الإسرائيليــة، واستشهــد ٤٢ آخرين جــراء اعتــداءات المستوطنين و٥٩٠ من طلبة المدارس والجامعات...

الجـرحـى والأســـرى

وأضافت أنّ عدد الجرحى منذ بداية الانتفاضة حتى أواخر شهر تشرين الأول الماضي بلغ ٣٧،٦٦٤ جريحاً من بينهم ٤٢٥٣ من طلبة المدارس والجامعات، وتلقى ٨٤٣٥ جريحاً علاجاً ميدانياً...

وأوضحت الإحصائية أنّ عدد الأسرى في المعتقلات الإسرائيلية خلال تلك الفترة وصل إلى ٧٥٠٠ أسير بينهم ٢١٢ معلماً ١٠٢٢ من طلبة المدارس والجامعات، فيما وصل عدد المعتقلين المرضى إلى ٧٠٠ أسير...

وبحسب الإحصائية فإنّ عدد العاطلين عن العمل وصل إلى٣٠٢ ألف عامل بنسبة ٤٣,٧ ٪ من مجموع العمال في الأراضي الفلسطينية فيما بلغت نسبة الفقر ٦٠ ٪ ...

وذكرت الإحصائية أنّ قوات الاحتلال ألحقت أضراراً متفاوتة في ٧١٧٨٧ مترلاً ما بين جزئي وكلي، منها ٤٣٣٩ مترلا دمرت كلياً بينها ٢٠١٧ في قطاع غزة و ٧٥١٠٦ مترلاً دمرت جزئياً وبأضرار متفاوتة منها ١٥٠١٧ في قطاع غزة، وتعرضت ٥٧٠ من المقرات الحكومية والمنشآت العامة للتدمير الكلي والجزئي، ودمرت ٧٤٧٦ ورشة ومحل ومنشآت صناعية كلياً، وبلغ عدد مرات القصف ٢٢١٠١ مرة سقط جراءها ٧٣٢ شهيداً، كما قصفت ٢٩٩ مدرسة ومديريات ومؤسسات تعليمية وحولت ٤٣ مدرسة إلى ثكنات

عسكرية، وأغلقت ١١ مدرسة وجامعة بناء على أوامـــر عـــسكرية في حين تعطلت الدراسة في ١١٢٥ مدرسة ومؤسسة تعليم عال...

مصـــادرة الأراضـــي

واستولى الاحتلال على ١٦٥٩٥١ دونماً منذ ٢٩/ ٣/٣/٢٠٠٣م لصالح المشروع الاستيطاني المسمى " الجدار الفاصـــل" وتجريـــف مـــا مساحته ٦١٨٥٧ دونماً من الأراضي الزراعية في الضفة وغـــزة... وتم اقتلاع ٩٧١٣٤٦ شجرة مثمرة وغير مثمرة، علاوة على قتل قـــوات الاحتلال ٤٠٧٧ رأساً من الغنم والماعز و٦٧٧ بقرة ما يزيـــد علـــى ١٤٢٨٩٣٧ من طيور المزارع والدواجن...

جريدة "الدســـتور" الأردنيـــة، الخمـــيس ١٧ شـــوال ١٤٢٤هـــــ ، الموافـــق ١١/١٢/٢٠٠٣م...

... وما زال العدوان مستمراً

تقارير من أرض الواقع حول الجدار العازل...

خلال شهور قليلة، تم إنشاء "الجدار العازل" فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة في عام ١٩٦٧م، ليشكل واقعاً عدوانياً جديداً ضد الشعب الفلسطيني، الصامد فوق تراب وطنه، رغم أنف العدو الصهيوني... ولكن تشبث المواطن الفلسطيني بأراضيه، وصموده الأُسطوري ، ومقاومته المشروعة ضد أعداء الحياة، دفع بإسرائيل إلى التفكير ببناء "الجدار العازل" تحت دعاوى مُحاربة الإرهاب ومنع الفلسطينيين إلى الدخول للأراضي المحتلة عام١٩٤٨م...

وها هو الجدار يرتفع ويخترق القرى والمدن العربية ويقسمها إلى عدة أقسام، بحيث لا يستطيع الفلسطيني الوصول إلى أرضه أو داره إلا بعد المرور عبر البوابات المخصصة للمرور منها، تحت سيطرة السلاح...

إنّ هذا الجدار الذي تتوهم إسرائيل أنه يمنع المقاومين من اختراقه أو اجتيازه، ما هو إلا خطأ كبير ترتكبه إسرائيل في حق نفسها قبل غيرها...

والغريب أنّ إسرائيل ماضية في بناء هذا الجدار، رغم استنكار أصحاب الأرض الشرعيين، وتحذيرات الأمم المتحدة والدول الأوروبية

وحتى أمريكا الصديقة الودودة لإسرائيل، لم تفلح في إقناعها بـــالتوقف عن بناء الجدار...

وقد كتب الكثير عن هذا الجدار، وإسرائيل ماضية في تنفيـــذ مخططاتها العدوانية دون الالتفات حتى لمحكمة العدل الدوليـــة، حيـــث اعترضت إسرائيل على بحث هذا الموضوع في المحكمة رغم قراراتها غير الملزمة، ومع اقتراب الانتهاء من بناء الجدار، تتحدث التقارير الواردة من الأراضي المحتلة عن الآثار الكارثية التي ستنجم عن إنشائه... وسأكتفي هنا بتسجيل ثلاثة تقارير تتحدث عن فكرة إنشاء هذا الجدار ومـــدى تأثيره على الأراضي الفلسطينية المحتلة في عام ١٩٦٧م، وهذه التقـــارير تم نشرها قبل أربعة أيام من انعقاد محكمة العدل العليا في لاهاي بتاريخ ٢٣/٢/٢٠٠٤م، وهذه التقارير تكاد تغطي جزءاً كبيراً مـــن الأفكـــار والأهداف العدوانية من إنشاء "الجدار" وهي منشورة في جريدة الدستور بتاريخ ١٩/٢/٢٠٠٤...

وقد أدرجتها تحت العناوين التالية:

١- الفكرة...

٢- الأضرار...

٣- أهداف أخرى...

١- الفكرة

وما زال العدوان مستمراً...

عنصر محوري في استراتيجية شارون

فكرة بناء جدار فاصل في الضفة الغربية طرحها اليسار في الأساس وكان يعارضها ارييل شارون، بيد أنه أصبح عنصراً محورياً في استراتيجية رئيس الوزراء الإسرائيلي، إذ أنه سيرسم بحكم الأمر الواقع حدود الدولة الفلسطينية المقبلة، ويندرج هذا الجدار في إطار خطة "فك ارتباط" أحادية الجانب واسعة كشف عنها شارون في كانون الأول الماضي، تنص على إخلاء إسرائيل لبعض المستوطنات المعزولة "١٧ في قطاع غزة وثلاث على الأقل في الضفة الغربية" لكنها ستؤدي إلى ضم إسرائيل عملياً لمناطق واسعة في الضفة الغربية...

يرى المحلل الإسرائيلي دان شوفتان أنّ الجدار "هو الجزء المادي من استراتيجية" شارون... ويجعل هذه الاستراتيجية قابلة للتطبيق... وبنظره فإنّ كل المناطق في الضفة الغربية الواقعة شرق هذا الجدار أي من الجانب الفلسطيني "لن تكون ضمن الأراضي الإسرائيلية" وستكون عائدة "لدولة فلسطينية أو كيان مهما كان شكله، سيقام هناك" أما مستوطنات الضفة الغربية التي ستكون "على الجانب الآخر" سيتم التخلي عنها بطبيعة الحال...

وشارون الذي كان معارضاً لهذا الجدار في البداية، عاد ليؤيد هذه الفكرة، وقد سعى إلى تغيير مسار الجدار حتى يقع أكبر عدد مـــن المستوطنات في الجانب الإسرائيلي، ويزعم شارون أنّ هذا الجدار هـــو مجرد "سياج أمني" بينما يعتبره المعنيون جميعاً من مستوطنين وفلسطينيين على أنه رسم للحدود بين إسرائيل والدولة الفلسطينية المقبلة... ويشدد شوفتان على أن الجدار "في الحقيقة هو سياج سياسي" وتدل المؤشرات على أن شارون يحاول في الواقع تحت غطاء مكافحة ما تسميه تل أبيب الإرهاب "المقاومة" ضم جزء من الضفة الغربية حـــتى تكـــون الدولـــة الفلسطينية المحتملة مجرد "معزل" يبقى تحت هيمنة جارتـــه النافـــذة... والجدار يدفن في نظر السلطة الفلسطينية خريطة الطريق وهـــي خطـــة السلام الدولية التي تنص على قيام دولة فلـــسطينية مـــستقلة وقابلـــة للاستمرار بحلول العام ٢٠٠٥م وتتسم مساحة المناطق في الضفة الغربية التي ستكون تحت إشراف إسرائيلي بسبب هذا الجدار، بأهمية حيويـــة، وثمة علامة استفهام في احتمال بناء جدار في القسم الشرقي من الضفة، يسمح لإسرائيل بالمحافظة على سيطرتها على وادي الأردن، ومنع الدولة الفلسطينية من الحصول على حدود مشتركة مع الأردن..

ويوضح شوفتان أن شارون "يريد أن يبقي على حزام علـــى طول نهر الأردن"...

وتوضح ديانا بوتو المستـــشارة القانونيـــة لمنظمـــة التحريـــر الفلسطينية أن "إسرائيل ستضم ٤٠ إلى ٤٥ ٪ تقريباً من الضفة الغربية

تبعاً لعرض الجدار، وقبول شارون الآن بمبدأ قيام دولة فلسطينية ضعيفة وإخلاء بعض المستوطنات المعزولة، لا يشكل تحولاً مفاجئاً في نهجه بل يندرج في الواقع في صلب مواقفه طوال حياته...

٣- الأضرار

يمتد بطول ٧٤٠ كيلومتراً منها ١١ ٪ فقط بمحاذاة الخط الأخضر...

انعكاسات الجدار على الفلسطينيين بالأرقام

يعزل القدس عن محيطها ويضم ٨٠ ٪ من مستوطنات الضفة لإسرائيل...

يتألف الجدار الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية من عدة أجزاء... ويعتبر هذا الجدار الذي سيمتد على مسافة ٧٣٠ كيلومتراً متى أنجز من أكثر المشاريع التي قامت بها إسرائيل كلفة، وتقدر كلفته الإجمالية بحوالي ٣,٤ مليارات دولار، وقد أنجز حتى الآن ١٨٠ كيلومتراً من هذا الجدار لا سيما في شمال الضفة الغربية المحتلة وفي منطقة القدس، وتأمل السلطات الإسرائيلية الانتهاء من بنائه قبل نهاية العام ٢٠٠٥م...

وهذا الجدار الذي تطلق عليه إسرائيل اسم "سياج الوقاية مـــن الإرهاب" والفلسطينيون اسم "جدار الفصل العنصري" يتوغل في عمق الضفة الغربية ليشمل المستوطنات الرئيسية، وفي بعض المنـــاطق يأخـــذ شكل سياج بارتفاع ثلاثة أمتار مجهز بنظـــام إلكتروني لرصد عمليات التسلل...

وهو محاط شرقاً بكتل من الأسلاك الشائكة هرميـــة الـــشكل وبحفرة وطريق للقيام بدوريات...

وأقيم طريق آخر للدوريات محاط بأسلاك شائكة أيضاً غـــرب الجدار المركزي...

ويبلغ متوسط عرض الجدار الذي بوشر العمـــل بإقامتـــه في حزيران ٢٠٠٢م بكل مكوناته ومنها طريق رملية لتقفي آثار الأقـــدام، خمسين متراً، ويتم حالياً وضع نظام مراقبة إلكترونية بالقرب من الجدار في الجزء الخاضع للسيطرة الإسرائيلية...

وفي مناطق أخرى مثل قلقيلية في شمال الضفة الغربية أو أبـــو ديس في ضاحية القدس الشرقية، يتحول السياج إلى جدار فعلي مؤلف من كتل إسمنتية بارتفاع ثمانية أمتار...

وأبقت إسرائيل على بعض "الأبواب" في الجـــدار للـــسماح للفلسطينيين الذين يحملون التراخيص الضرورية بالعبور...

ومن المقرر إقامة حائط مزدوج شرق مطار اللد على أن يسير الجدار الأول بشكل عام بمحاذاة الحدود مع الضفة الغربية على بعد سبعة

كيلومترات من المطار، والثاني على بعد حوالي ١٥ كيلــومتراً داخــل الضفة الغربية...

وفي نهاية المطاف سيضم الجدار ٨٠ ٪ من المستوطنين البــالغ عددهم نحو ٢٢٠ ألفاً في الضفة الغربية باستثناء القــدس الــشرقيــة المحتلــة التي ضمتها إسرائيل، لكن العشرات من المستوطنات اليهوديــة الصغيرة الواقعة في عمق الضفة الغربية ستكون خــارج هــذا الجــدار ومعظمها غير مأهول وبيوتها كرفانات...

وتفيد الأمم المتحدة أن نحو ٦٨٠ ألف فلــسطيني في الــضفة الغربية سيتأثرون سلباً مباشرة بالجدار، ويوضح تقرير أعده مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية أن حوالي ٨٥٠ كيلومتراً مربعاً مــن الضفة الغربية المحتلة ــ باستثناء القدس الشرقيــة ــ أي ١٤,٥ ٪ من مساحتها ستقع بين هذا الجدار وخط الهدنة لعام ١٩٤٩م الذي يطلــق عليه اسم "الخط الأخضر" ويضيف التقرير أن أكثر مــن ٢٧٤ ألــف فلسطيني في ١٢٢ بلدة ومدينة "سيعيشون في مناطق مغلقة بين الجــدار والخط الأخضر، أو في جيوب محاطة كلياً بجدار"...

وسيضطر أكثر من ٤٠٠ ألف فلسطيني يقيمون شرق الجــدار إلى عبور بعض الحواجز للوصول إلى مزارعهم أو أمــاكن عملــهم... وهذا يعني أنّ الجدار سيؤثر سلباً ومباشرة على أكثر مــن ٦٨٠ ألــف فلسطيني أي ٣٠ ٪ من سكان الضفة الغربية" ويوضح التقرير أن ١١٪ فقط من مسار الجدار يسير بمحاذاة "الخط الأخضر" الذي يفصل بــين

الضفة الغربية وإسرائيل، وبسبب هذا المسار المتعرج الـــذي يتوغـــل في عمق الضفة الغربية، سيكون الجدار الفاصل متى تم إنجازه أطول بكـــثير من الخط الأخضر، ويفيد التقرير أيضاً أن "الأضرار الناجمة عن تـــدمير أراض وممتلكات لبناء الجدار لا يمكن الرجوع عنها، والفلسطينيون قد لا يتعافون منها حتى لو تحسن الوضع السياسي" وقد أدى الجدار الذي يمتد على مسافة ٧٣٠ كيلومتراً وأنجز ١٨٠ كيلومتراً منـــه حـــتى الآن، إلى عزل بلدات بكاملها في الضفة الغربية، عن الأسواق والخدمات الطبيـــة والمدارس وقد تمت لغايات بناء الجدار مصادرة أكثر من ١١٠٠ هكتار من الأراضي الفلسطينية الخاصة، واقـــتلاع أكثـــر مـــن ١٠٢ ألـــف شجرة...

وتعتبر هذه الأراضي التي يعمل فيها ربع السكان المحليين الأكثر خصوبة في الضفة الغربية، وتدر ما مجموعه ٩٠٠ ألف دولار سنوياً في الكيلومتر المربع الواحد أي ضعف ما تدره الحقول الأخرى في الـــضفة الغربية وقطاع غزة، وأدى الجدار إلى عرقلة الوصول إلى آبار وموارد ماء أخرى في المنطقة...

ورسم مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية صـــورة قاتمة أكثر لانعكاسات الجدار على السكان الفلـــسطينيين في ضـــواحي القدس الشرقية، وقد تم بناء ٢٢ كيلومتراً من الجدار في هذه المنطقة...

ويوضح التقرير ذاته أن "البلدات المحيطة بالقــدس ستــصبح معزولة عن المدينة التي تعتمد عليها في التجــارة والعمــل والخــدمات الاجتماعية الأساسية" بما في ذلك الطبابة والتعليم...

٣- أهداف أخرى
سلاح في معركة الديموغرافيـة

يهدف الجدار الذي تشيده إسرائيل في الضفة الغربية مبــدئياً حسبما تقول تل أبيب إلى منع وقوع هجمات فلسطينية داخل الدولــة العبرية... لكن قد يكون له هدف آخر هو الحفاظ على غالبية يهودية في إسرائيل، واكتفت إسرائيل التي لا تعترف باختصاص هذه المحكمــة للنظر في قضية الجدار بإرسال مذكرة خطية وقررت مقاطعة جلــسات المحكمة...

وتضم إسرائيل وقطاع غزة والضفة الغربية حالياً ٥,٢ مليــون يهودي و٤,٩ ملايين عربي ونظراً إلى نسبة الولادات المرتفعــة لــدى الفلسطينيين وتراجع هجرة اليهود إلى إسرائيل سيصبح السكان العــرب أكثرية قبل نهاية العقد الحالي...

ويقول إيتان غيلبوا خبير الشؤون السياسية في جامعة بار إيلان قــرب تل أبيب أنّ "بناء هذا السياج ســيحمينا في آن مــن تــسلل المقاومين ومن أسماه الهجرة غير القانونية" للفلسطينيين، مــشيراً إلى أن

الفلسطينيين يحاولون الإقامة في إسرائيل لأسباب اقتصادية خصوصاً أن إجمالي الناتج المحلي فيها يزيد عشر مرات عنه في الأراضـــي المحتلـــة... ويرى غيلبو في ذلك تهديداً كبيراً "للطابع اليهودي للدولة العبرية معتبراً أن "هذا الخطر يبرر لوحده بناء الجدار"...

وتفيد وزارة الداخلية الإسرائيلية أن نحو ١٤٠ ألف فلسطيني انتقلوا للإقامة في إسرائيل بين العامين ١٩٩٣م و ٢٠٠٢م عبر زواجهـــم مـــن فلسطينيات داخل الخط الأخضر، أو حصولهم على الجنـــسية ولا ســـيما في القدس...

وفي محاولة لوقف هذه الظاهرة أقر البرلمان في تموز ٢٠٠٣م قانوناً أدانته المنظمات المدافعة عن الحقوق المدنية، يمنع حصول الزوج الفلـــسطيني على الجنسية الإسرائيلية، ومع أن المسؤولين الإســـرائيليين يتجنبون التشديد على الدور الديموغرافي للجدار الفاصل هذا، فإنّ بعضهم يقارنـــه بالـــسياج الأمريكي المقام عند الحدود مع المكسيك لمنع تسلل المهاجرين بطريقة غـــير قانونية...

والهدف الإسرائيلي المعلن رسمياً من هذا الجدار الذي يمتـــد علـــى مسافة ٧٣٠ كيلومتراً تم بناء ١٨٠ كيلومتراً منها حتى الآن هو أمني بحت... ويقول دوري غولد مستشار رئيسي الوزراء الإسرائيلي "من البداية وحـــتى النهاية هذا السياج له هدف واحد:ـــ مكافحة الإرهاب"... وينفي غولـــد وجود أي "معنى سياسي" لهذا الجدار...

وكان يفترض في الأساس أن يسير بمحاذاة "الخط الأخضر" لكـــن مـــساره الحالي يتوغل في عمق الضفة الغربية...

شاهد عيان...

على حواجز الاحتلال...

يا ترى إلى أي مدى يمكن لقلب الأم أن يتحمل وهـــي تـــرى أولادها يموتون أمامهـــا واحداً إثر واحد...؟!

فهل كتب على الأم الفلسطينية أن تتحمل هذا القدر الرهيب، وهي تنظر بأم عينيها إلى مصرع أولادها، كأنهم فراخ تذبح على مذابح الهمجية والإجرام...؟!

إنني أقترح على الأطبـــاء وعلمـــاء البيولوجيـــا أن يقومـــوا بفحوصات دقيقة على قلـــب إحدى الأمهات المصابات بأولادهن، أو اللواتي أجهضن على أحد الحواجز الإسرائيلية بسبب عرقلة وصولهن إلى المستشفى للولادة...

حيث سيتبين لهم أنّ هذا القلب قد زود بقدرةٍ عظيمة ونادرة على احتمال الألم والعذاب والحرمان...!!

ولو قدر للخنساء أن تبعث من جديد، وتعيش الواقع المأساوي الذي يعاني منه أهل فلسطين المحتلة، لفقدت قدرتها على ما يدور في هذه الأيام من قتل للأطفـــال والنساء والشباب والشيوخ، ولما استطاعت أن تقول بيتاً واحداً من الشعر في رثاء الشهداء...!!

على حاجز عسكري أقامته قوات الاحتلال الإسرائيلي عنـــد مفترق بيت ايبا الواقـــع على الشارع الرئيسي الذي يربط مدن جـــنين وعنبتا وطولكرم وقراها بمدينة نابلس، وذلـــك للتـــدقيق في هويـــات المواطنين المضطرين للذهاب إلى مدينة نابـــلس، وخاصة لمراجعة الأطباء أو زيارة أقاربهم، حيث قامت تلك القوات بوضع أعمدة إسمنتية، وقاموا

أيضاً بحفر الشارع حتى لا تمر فوقه أية سيارة، وعلى المواطنين القادمين إلى نابلس أن يترلوا من "الباصات" عند الحاجز للتأكد من هوياتهم، ومن الأمتعة التي يحملونها... وبعد أن يوافق الجنود المكلفون بالتفتيش علـى الأمور، يسمحون للناس بالانتقال مشياً إلى الجهة الأخرى وسط أكوام من الحجارة والتراب مما يسبب المشقة والتعب لكبار الـسن والمرضـى والنساء الحوامل وخاصة في فصل الشتاء... وهذه الحواجز موزعة على امتـداد أراضي السلطة الفلسطينية... ولهذا عمد بعض الـسكان إلى إيجاد منافذ لهم عبر الجبال والمناطق الوعرة بعيداً عن أعـين وأسـلحة الجيش الإسرائيلي...

وقد تصادف أن كنت أحد المواطنين الذين عبروا هذا الحاجز بمشقة كبيرة، وقد عمد جنود الاحتلال إلى العمل على منـع مجموعـة كبيرة من الشباب من المرور، وإجبارهم للعودة من حيث أتوا...

وأذكر أنه بعد أن اجتزنـا الحـاجز، ووصـلنا إلى موقـف "الباصات" على الجانب الآخر، أن ركبت السيارة معنا امرأة شابة وبين يديها طفلٌ لا يتجاوز عمره عـدة شهور، يبدو أن عنده أزمة قويـة، حسبنا أن روحه ستخرج من جسده... كانت والدته قلقة ومـضطربة بسبب وضع ابنها الرضيع، وسمعتها تقول لإحدى السيدات في السيارة أنهم منعوا زوجها من مرافقتها إلى الطبيب في نابلس من أجـل ابنـهم المريض... وسألتها السيدة: ألا يوجد أطباء في قريتكم...؟!

فأجابــت أنّ الأطباء لا يستطيعون الوصول إلى القريــة، وإن وصلوا لا يمكثون أكثر من ساعة أو ساعتين خوفاً من أن يظلوا سجناء عياداتهم بسبب منع التجوال الذي لا يــدري الواحــد منــهم مــتى يطبق...!! وحال هذه المرأة حال المئات من النساء اللواتي يسكن القرى ولا يوجد طبيب واحد يشرف عليهن في حالات المرض أو الولادة... وكم من امرأةٍ فقدت حياتها أو جنينها بسبب صــعوبة الوصــول إلى المستشفيات في المدن الفلسطينية الكبيرة، التي تتوفر فيهــا الإمكانيــات الكبيرة... ولنا أن نتصور عمق المأساة التي يعيشها الناس في فلــسطين، وخاصة من المرضى والنساء الحوامل اللواتي يتمنين أن يرزقهن الله بمولود حتى يكون قرة عين وبشارة أمل وحلم حياة...

ومن أجل هذا صار وضعهن قلقاً إلى درجةٍ كبيرة، بسبب ما يسمعن ويشاهدن من عوائق تسببت في إجهاض العديد من النــساء أو وفاتهن للتأخير على الحواجــز العسكرية نتيجة للإجــراءات القاســية، ومنها منع التجوال الذي يعرقل كل حركة السيارات والأطبــاء علــى السواء وهذه المعاناة لا تقتصر على النساء الحوامل اللــواتي يحلمــن أن يقمن بالسلامة بعد ولادتهن، بل إنّ المعاناة أكبر من ذلك بكثير...!!

فكم من امرأةٍ لوعت باستشهاد طفلــها أو ابنــها أو ابنتــها الشابة...؟! وكم من امرأة تظل واضعة يدها على قلبها خوفاً مــن أن يأتيها نبأ استشهاد ابنها الذي يذهــب إلى المدرسة، مخاطراً بحياته بــين

دبابات الأعداء ومجترراته... لأنه يسلك طرقاً وعرة للوصول إلى مدرسته...؟!

وقد أثبتت المرأة الفلسطينية وجودها في ساحات الجهاد، منذ بداية الصراع العربي الصهيوني على أرض فلسطين، وقد سقط العديد منهن على دروب الشهادة، وكنّ بحق على مستوى المسؤولية الوطنية...

وما نشاهده هذه الأيام على أجهزة التلفاز من صور ومناظر مشرفة بسبب وقوف المرأة وتصديها لجنود العدو دفاعاً عن أبنائهن وبناهن متحديات الرصاص والقنابل، في سبيل إنقاذ طفل أو شاب من براثن الأعداء، ولو أردنا أن نستعرض الدور الكبير الذي قامت به المرأة الفلسطينية وما زالت تقوم بدورها الريادي في النضال لاحتجنا إلى مجلدات ضخمة... وتتناقل وكالات الأنباء العربية والعالمية صوراً رائعة لهذا النضال الذي يدل على عظمة المرأة الفلسطينية إن كانت أماً أو زوجة أو أختاً...

لقد ولد جيل جديد من الاستشهاديات اللواتي عمدن طريق الشهادة بالدم... وقد أثبتت المرأة الفلسطينية أنها صنو الرجل في الكفاح ونذكر منهن الشهيدات وفاء إدريس ودارين أبو عيشة وآيات الأخرس وإلهام الدسوقي وعندليب طقاطقة وهبة عازم دراغمة وهنادي جرادات... بالإضافة إلى عشرات المعتقلات اللواتي يقضين أحكاماً مختلفة بالسجن، وهؤلاء امتداد لشجرة عظيمة من النضال

والكفاح على مدار قــرن من الزمان، وقد سبقتهن قافلة طويلــة مــن جداهتن وأمهاهتن بدءاً من شهيدة ٢٦ حزيران عــام ١٩٣٦م فاطمــة خليل غزال وامتداداً بالمعلمة الشهيدة حياة البلبيسي شهيدة دير ياســين ١٩٤٨م وشادية أبو غزالة وأمينة دحبور وغيرهن كثير ممــن ســجل التاريخ أسماءهن بحروف من نور...



زيــاد عودة

نابلس في مطلع عام ٢٠٠٣م

وثـــائـــق



الصهيونية
" عن دائرة المعارف السوفيتية"
(طبعة عام ١٩٧٦م)
(نسبة إلى جبل "صهيون" في القدس)

أكثر أشكال القومية اليهودية رجعية، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً في القرن العشرين بين السكان اليهود في البلاد الرأسمالية، وتعتبر الصهيونية المعاصرة أيديولوجية قومية، ونظام متشعب من التنظيمات والسياسة، تعبر عن مصالح البورجوازيةِ اليهوديةِ الكبيرةِ المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبورجوازية الاحتكارية للدول الإمبريالية، والمضمون الأساسي للصهيونية المعاصرة هو الشوفينية العدوانية، والعنصرية ومعاداة الشيوعية، ومعاداة الاتحاد السوفيتي...

وقد ظهرت الصهيونية كتيار سياسي في نهاية القرن التاسع عشر... وكان يهدف إلى إلهاء الجماهير الكادحة اليهودية عن النضال الثوري، والحفاظ على سيطرة البورجوازية عليهم...

ولتحقيق هذه الأهداف والأيديولوجية وضعت الصهيونية خططاً لحل "المسألة اليهودية" عن طريق خلق "دولة يهودية" بمساعدة من الدول الكبرى... وقد شرحت هذه الفكرة على وجه الخصوص في

كتاب اسمه "الدولة اليهودية" صدر عـام ١٨٩٦م لأحـد مفكـري الصهيونية وهو الصحفي النمساوي ثيودور هرتسل، وعقد عام ١٨٩٧م في بازل المؤتمر الصهيوني الذي أسست فيه المنظمة الصهيونية العالمية التي أعلنت رسمياً أنّ هدف الصهيونية هو " أن تخلق للشعب اليهودي حقـاً مصوناً في اللجوء إلى فلسطين"...

والعقيدة الأيديولوجية للصهيونية هي توليفية تمامـاً، وهـي تستخدم كثيراً من العقائد الجامدة في الديانة اليهودية، وكذلك تتضمن نظريات قومية بورجوازية وشوفينية اجتماعية وغيرها وضعها منظـرو الصهيونية... وتنحصر أفكارها الرئيسية فيما يلي: يمثل يهود مختلـف بلدان العالم " أمة يهودية عالمية واحدة " يتعدى نطاقها الحدود الإقليمية، ويعتبر اليهود شعباً "خاصاً " "متميـزاً " "اختـاره الله"... وجميـع الشعوب التي يعيش بينها اليهود هم بشكل أو بآخر معاديين للـسامية، ومعاداة السامية هي ظاهرة "أبدية" وإن الاستيعاب أي اندماج اليهود في الشعوب المحيطة بهم هو " أمر طبيعي وخطيئة " ولليهود الحق التاريخي في "أرض أسلافهم حسب التوراة " ــ أي فلسطين والمنطقة المرتبطة بهـا التي يجب أن يتمركزوا ويبنوا عليها دولـة "يهودية نقية" "مـساواتية" [1] ويحاول منظرو الصهيونية أن يثبتـوا "الصلة الوثيقة بين يهود جميـع العالم" والصهيونية التي يجب عليهم أينمـا وجـدوا أن يخـضعوا لهـا مصالحهم، إنّ العقائد الأساسية غير السياسية التي تقـول "بالاختيـار الإلهي" وقدسية اليهود وخـلاص اليهود، وكذلك الفكـرة الخياليـة

القائلة "بتميزهم" تعتبر من أسس القومية المتطرفة والشوفينية والعنصرية الملازمة للصهيونية، ويزعم منظرو الصهيونية أنّ "المسألة اليهودية" مشكلة " أبدية " و "خاصة " وفوق الطبقات...

ويروج الصهاينة بكل الطرق للفكرة الزائفة عن السلام الطبقي بين الكادحين اليهود والبورجوازية اليهودية " كل اليهود أخوة "... ويعلن منظرو الصهيونية أنّ كل أشكال الصراع الطبقي بين اليهود تعتبر خيانة وطنية، وقد حاولَ الصهاينة دائماً ويعملون الآن أيضاً عن طريق الديماجوجية والمناورات التكتيكية على إخفاء الجوهر الرجعي غير الشعبي للصهيونية، بتقديمها "كحركة تحرر وطني للشعب اليهودي في العالم "...

---

(١) وهو مذهب خيالي ينادي بمساواة جميع البشر مساواة حسابية Eqalitarism

وبعدَ أن تكونت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م بقرار من هيئـةِ الأمم المتحدة "على جزء من أرض فلسطين" أصبحت الصهيونية هـي الأيديولوجية الرسمية لإسرائيل، ويعلن الصهاينة أنّ أهدافهم الرئيسية هي مساندة يهود العالم كله لهذه الدولة، وتجميع اليهود من جميع أنحاء العالم في إسرائيل، وتشكيل وعيّ السكان اليهود في مختلف الـبلاد بـالروح الصهيونية، وتضع الصهيونية هدفاً لها توسيع هذه الدولة إلى حدود مـا يسمى "بإسرائيل الكبرى"...

ويستخدم الصهاينة لحل هذه المشكلة نظرية "العداء الأبـدي للسامية " وكثيراً ما يلجؤون هم أنفسهم إلى إشـعال هـذا العـداء للسامية...

والصهيونية هي أساس السياسة الرسمية للدولـة في إسـرائيل، ويعلن الصهاينة أنّ دولة إسرائيل هي وطن جميع اليهود أينما وجـدوا ومهما كان موقفهم... وعلى خلاف قواعد القانون الدولي، اتخذ المؤتمر الثامن والعشرون للمنظمة الصهيونية العالمية "الذي انعقد عـام ١٩٧٢م في القدس" قراراً ينص بأن تلتزم المنظمات القومية "يعـني الـصهيونية والموالية للصهيونية " التزاماً جماعياً بمساعدة الدولـة اليهوديـة في أي أوضاع أو ظروف، حتى ولو تعارض ذلك مع سلطات البلاد التي يعيش فيها اليهود، وينتمون إلى جنسيتها... وكان الخط الرئيسي للـصهيونية وما يزال هو العمل المعلن والسري ضد الاشتراكية والحركة الـشيوعية العالمية، وحركات التحرر الوطني والاتحاد السوفيتي وغيره من البلـدان

الاشتراكية... وفور انتصار ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م في روسيا شنت الصهيونية الحرب الضارية ضد الدولة السوفيتية الفتية... وبعد الحـــرب العالمية الثانية ١٩٣٩م ــ ١٩٤٥م، ومع ازدياد عمق الأزمـــة العامـــة للرأسمالية اتخذ عداء الصهيونية العالمية للـــشيوعية والـــسوفييت نطاقـــاً أوسع... وقد أدى التغير العام لتـــوازن القـــوى في العـــالم لـــصالح الاشتراكية، ونجاح حل المسألة القومية "بما في ذلك المسألة اليهودية " في الاتحاد السوفيتي وتأييد الاتحاد السوفيتي المستمر لحركة التحرر الـــوطني للشعوب العربية، أدى هذا كله إلى تشديد الدعاية والنشاط الـــصهيوني ضد السوفييت وضد الـــشيوعية، فالـــصهيونية الدوليـــة تـــرمى إلى تقـــويض الوحدة السياسية والمعنوية لشعوب البلدان الاشتراكية، وإلهاء المواطنين اليهود عن المشاركة في بناء الاشتراكية والـــشيوعية، وقيـــادة العمل التخريبي ضد انفراج التوتر الدولي، وخصوصاً بعد أن بدأ تطبيع العلاقات السوفيتية الأمريكية... وتشترك الصهيونية الدولية بضراوة في الحرب ضد حركات التحرر الوطني في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وهي تفعل ذلك باعتبارها أحد الفصائل الصدامية للإمبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد... وفي الشرق الأوسط تمارس الـــدوائر الحاكمـــة الصهيونية في إسرائيل سياسة العدوان والتوسع الإقليمي المستمر علـــى حساب الشعوب العربية، والشعب العربي في فلـــسطين علـــى وجـــه الخصوص، وقد حولت هذه السياسة إسرائيل إلى دولـــة إمبرياليـــة في الشرق الأوسط وإسرائيل في الأعوام ١٩٤٨م ــ ١٩٤٩م و ١٩٥٦م،

١٩٦٧م، ١٩٧٣م... وأصبحت الصهيونية أحد الحلفاء الأساسيين للإمبريالية في حربها الشاملة ضد حركة التحرر الوطني في العالم...

وتقوم المنظمات الصهيونية والموالية للصهيونية المتشعبة ذات النظام المركزي الصارم، والتي تقع مراكزها القيادية في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بنشر مفاهيمها الأيديولوجية وتنفيذ مخططاتها السياسية، وتعتبر الوكالة اليهودية بالنسبة لإسرائيل المركز القيادي والمنسق للصهيونية الدولية "المنظمة الصهيونية العالمية"... وتنشغل هذه الوكالة أساساً بمسائل هجرة اليهود إلى إسرائيل، وتمثل المنظمة الصهيونية العالمية في العلاقات مع الحكومة الإسرائيلية...

ويعتبر المؤتمر الصهيوني العالمي أعلى هيئة من الناحية القانونية في المنظمة الصهيونية العالمية... ويلعب الدور الرئيسي في هذه المنظمة مجموعة من الشخصيات لها صلات وثيقة مع الدوائر الإمبريالية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتتكون اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية من قسمين: أحدهما في نيويورك والآخر في القدس، وتوجه المنظمة الصهيونية العالمية وتشرف على نشاط المنظمات الصهيونية في أكثر من ٦٠ بلد رأسمالي، أكبرها:ـ المنظمة النسائية الصهيونية العالمية، الاتحاد العالمي العام للصهاينة الحركة العمالية الصهيونية العالمية، المنظمة الصهيونية الأمريكية... وعملياً يخضع المؤتمر اليهودي العالمي غير الصهيوني والذي أسس عام ١٩٣٦م للمنظمة الصهيونية العالمية... وتعمل منظماته في ٦٧ بلد رأسمالي... ويرتبط بهذه المراكز بشكل

مباشر أو غير مباشر عدد من المنظمات والجمعيات واللجان وغيرهـــا، الصهيونية والموالية للصهيونية، والتي تكون نظاماً موحـــداً للـــصهيونية العالمية، وتمتلك المنظمة الصهيونية العالمية مالية ضخمة يقـــدمها إليهـــا أساساً الاحتكاريون اليهود، وبعضها يجمع عن طريق ابتـــزاز الأمـــوال وأحياناً بشكل قسري من السكان اليهود... ويقع جزء كبير من أجهزة الإعلام تحت إشراف أو نفوذ المنظمات الصهيونية، ويقع تحت أيـــديها عدد كبير من دور النشر والإذاعة وشركات التلفزيـــون وشركـــات السينما " في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وفي عدد مـــن بلدان أمريكا اللاتينية وإفريقيا وأستراليا "... وقد ضمت الـــصهيونية الدولية دائماً وما زالت تيارات أيديولوجية مختلفة وكتـــل وتجمعـــات سياسية:ـــ " الصهاينة الاشتراكيين"، "الصهاينة السياسيين" "الـــصهاينة الروحيين"، "الصهاينة المتدينين"، "الـــصهاينة العمـــوميين" "الـــصهاينة المراجعين" ـــ وهي حالياً حزب حيروت الفاشي والمجموعات المرتبطة به ـــ وغيرها... وهذا يعكس فقط المصالح الخاصة للفئات المختلفة مـــن البرجوازية اليهودية، ولا يغير على الإطلاق جوهرها الموالي للإمبريالية، وإنما يعتبر فقط غطاء له...

والخلافات بين مختلف الاتجاهات الصهيونية لا يخرج في الجوهر عن حدود المسائل التكتيكية، ويعتبر أحياناً انعكاساً للصراع في القمـــة الصهيونية من أجل المناصب ذات النفوذ...

وقد رفض الماركسيون دائماً وما زالوا يرفضون نظرية الصهيونية وممارستها، وقد كشف لينين المضمون الرجعي للصهيونية مؤكداً أنّ عقائدها رجعية وزائفة في جوهرها، وأنها تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية، وانتقد نظريات الصهاينة حول الطابع الخاص للشعب اليهودي، ومزاعمهم حول انعدام الاختلافات الطبقية بين اليهود وحول اتفاق مصالحهم الوهمي، وأوضح أنّ مثل هذه المزاعم تهدف إلى صرف أنظار الكادحين اليهود وإبعادهم عن الصراع الطبقي العام للبروليتاريا... وتكشف الحركة الشيوعية العالمية الطابع الرجعي غير الشعبي للصهيونية ولنشاط الصهاينة في جميع البلاد... وتدعو الوثيقة التي أقرها الاجتماع الدولي للأحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩م... "إلى نشر أوسع حركة احتجاج... ضد التمييز العنصري والقومي الذي تمارسه الصهيونية، والعداء للسامية... والذي تشعله القوى الرجعية الرأسمالية وتستخدمه لحرف أنظار الجماهير من الناحية السياسية "... ويواصل الحزب الشيوعي الإسرائيلي نضالاً ثابتاً ضد الصهيونية... وهو يبين بوضوح أنّ أعتى قوى الرجعية والإمبريالية تستخدم الصهيونية، وأنّ أيديولوجية وممارسة الصهيونية تتناقض مع مصالح الكادحين اليهود في جميع أنحاء العالم، وتتعارض مع المصالح القومية للشعب الإسرائيلي، وأنّ النضال ضد الصهيونية هو الضرورة الحيوية لشعب إسرائيل ولجميع القوى التقدمية... ويكشف الحزب الشيوعي الإسرائيلي الموقف "غير الطبقي" للصهاينة من "المسألة

اليهودية" ويدل على أنه لا يمكن حل هذه المسألة إلا في ظـــل انتـــصار الديمقراطية والاشتراكية، وهو ما تشهد به خـــبرة الاتحـــاد الـــسوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى... ويدافع الحزب الشيوعي الإسرائيلي عن الأخوة والصداقة بين الكادحين في مختلف البلدان، ضد النشاط الهـــدام للقادة الصهاينة وحكام إسرائيل...

ومع ازدياد عمق الأزمة العامة للرأسمالية في المرحلـــة الحاليـــة، يزداد وضوح أزمة الأيديولوجية الصهيونية وتهافت كـــل مفاهيمهـــا، وترفض الغالبية الساحقة من اليهود العقائد الصهيونية الجامـــدة... إنّ يهود الاتحاد السوفييتي ــ مع استثناءات ضئيلة ــ مثلهم في ذلك مثـــل جميع شعوب الاتحاد السوفيتي والقوى التقدمية في العالم، يدينون بحـــزم السياسة العدوانية للقمة الصهيونية الحاكمة في إسرائيل...

وقد اعتبرت الدورة الثلاثين لهيئة الأمم المتحدة ــ في نـــوفمبر ١٩٧٥م ــ الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العرقي...

وينمو في العالم كله عملية طبيعية موضوعية هـــي اســـتيعاب "اندماج assimilation ــ اليهود... وينمو بين يهـــود البلـــدان الغربية، بل وبين سكان إسرائيل الإدراك بأنّ السياسة الصهيونية للدوائر الحاكمة في إسرائيل يمكن أن توصل سكانها إلى كارثة قومية حقيقية...

دولة إسرائيل والصهيونية

بقلم: جالينا نيكيتينا

الصهيونية هي أيديولوجية الطبقة الحاكمة في إسرائيل، ومن ثم فهي تجسد سياسة الدولة وتحدد تطورها السياسي والاقتصادي...

ومن أجل تتبع جذور الترابط بين إسرائيل والصهيونية، علينـــا أولاً أن نتذكر باختصار كيف خرجت هذه الدولة إلى الوجود... فوفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نـــوفمبر ١٩٤٧م، تم تقسيم فلسطين السابقة إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية... وحصلت الأراضي التي كانت تحت الانتداب البريطاني على الاستقلال، كما حصل العرب واليهود من سكان البلاد على حق تقرير المصير على قدم المساواة... وصدر القرار الخاص بتقسيم فلسطين رغم الـــدعاوى الصهيونية التي كانت تزعم حقها في الاستيلاء على كل فلـــسطين... وهكذا، تؤكد التوصية رقم ١٢ الواردة ضمن التوصيات العامـــة الـــتي ينص عليها التقرير الصادر عن اللجنة الخاصة لبحث المشكلة الفلسطينية، والتي تشكل ــ جنباً إلى جنب مع الخطة التي أقرها أغلبية اللجنـــة ــ الأساس الذي انبنى عليه قرار الأمم المتحدة المـــذكور، " أنّ أي حـــل

للمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن يعتبر حلاً للمشكلة اليهودية بشكل عام" [(١)]...

ويحدد قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين طبيعة الدولة اليهودية المقبلة، وينص على ضرورة أن تكون دولة ديمقراطية، لها دستورها الديمقراطي، وأن تتوفر فيها الضمانات للسكان العرب لممارسة حقوقهم المتكافئة بدون أي تمييز أو تفرقة [(٢)]...

وهكذا، فإذا بدأنا من معنى قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، لوجدناه ينص على قيام الدولة اليهودية القادمة على أسس لا علاقة لها على الإطلاق

(١) الأمم المتحدة، اللجنة الخاصة للقضية الفلسطينية، تقرير مقدم للجمعية العامة، ملحق رقم ١١، المجلد رقم ١، نيويورك، ١٩٤٧م، ص ٤٦...

(٢) أنظر الأمم المتحدة، التقارير الرسمية لدورة الانعقاد الثانية للجمعية العامة، قرارات. من ١٦ سبتمبر إلى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، القرار الصادر من لجنة أدهوك لبحث المسألة الفلسطينية (١٨١)، نيويورك، ١٩٤٧م...

بأهداف الصهيونية العالمية... ولم يكن ينظر إلى مستقبل الدولة اليهودية إلا على ضوء ضمان حق الاستقلال القومي لليهود الذين يشكلون جزءاً من سكان فلسطين... وهكذا كان موقف الاتحاد السوفيتي والعديد من الدول أعضاء الأمم المتحدة عند التصويت على قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، وما أعقب ذلك من اعتراف بدولة إسرائيل...

ولكن البورجوازية الكبيرة اليهودية، عميلة الصهيونية العالمية ورأس المال الاحتكاري، هي التي تربعت على قمة السلطة في دولة إسرائيل التي أعلنت في شهر مايو ١٩٤٨م...

وهكذا نفذت في أراضي فلسطين السابقة مؤامرة إمبريالية صهيونية سبق إعدادها مقدماً ومنذ وقت طويل... ولم يكن في الإمكان تنفيذ هذه المؤامرة لولا مساندة وتواطؤ الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة، واستخدمت الرجعية العالمية أثناء فترة النزاع والجدل حول قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وتطبيق هذا القرار، كل الوسائل من أجل عرقلة تكوين الدولة العربية الفلسطينية...

وأعلنت البورجوازية الإسرائيلية الصهيونية، التي استحوذت على السلطة بمقتضى أول مرسوم للدولة، وهو مرسوم إعلان الاستقلال أنّ "المذهب الصهيوني" هو الأيديولوجية الرسمية للدولة، وأنه هو السياسة التي تنتوي السير عليها... وأكد إعلان الاستقلال أن دولة إسرائيل نشأت في المقام الأول "استناداً إلى الحق الطبيعي والتاريخي

للشعب اليهودي" وأنها "سوف تفتح أبوابها لهجرة اليهود مـــن جميـــع البلدان التي تشردوا فيها "... وأخيراً وجهت الدعوة إلى جميع اليهـــود من كافة البلدان "للوقوف إلى جانبها في النضال الكبير من اجل تحقيـــق حلم الأجيال ـــ استرداد إسرائيل " [1]...

وهكذا وافقت الجماعة الحاكمة الإســـرائيلية علـــى برنـــامج الصهيونية العالمية بكل أهدافه الأيديولوجية والسياسية، وبكل ما يـــنص عليه من مهام...

وأعلن زعماء الصهيونية العالمية بدورهم، وبما يتناقض مع نـــص وروح قرارات الأمم المتحدة، أنّ إسرائيل هي نوع من "نبت الحركة الصهيونية " وأنها "دولة ذات سيادة من نوع خاص"، تجسد الوحـــدة "القوميـــة" لليهود، ولها "رسالة عالمية" خاصة... وتعبر هذه الـــدعاوى الزائفـــة والمطالب التي تتعارض مع القانون الدولي عن برنامج لا يمكن أن تنادي به إلا هيئة عميلة لرأس المال الاحتكاري، وللرجعية الإمبريالية العالمية...

---

(١) "إعلان الاستقلال"، الكتاب السنوي الفلسطيني والكتاب السنوي الإسرائيلي ـــ ٥٧٠٩ ـــ ١٩٤٨م ـــ ١٩٤٩م، نيويـــورك ، ١٩٤٩م، المجلـــد ٤، ص ٨٦ ـــ٧٠...

قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عام ١٩٤٧م

إنّ الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة، بعد أن عقدت دورة خاصة بناء على طلب الدولة المنتدبة ـ بريطانيا ـ للبحث في تشكيل وتحديد صلاحية لجنة خاصة يعهد إليها بتحضير اقتراح للنظر في مسألة حكومة فلسطين المستقلة في دورتها الثانية...

وبعد أن تلقت وبحثت تقرير اللجنة الخاصة "مستند رقم ٣٦٤ " الذي يتضمن توصيات عدة قدمتها اللجنة بعد الموافقة عليها بالإجماع... ومشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي الذي وافقت عليه أغلبية اللجنة، تعتبر أنّ الحالة الحاضرة في فلسطين من شأنها إيقاع الضرر بالرفاهية العامة، والعلاقات الودية بين الأمم...

وتحيط علماً بتصريح الدولة المنتدبة الذي أعلنت بموجبه أنها تنوي إنهاء الجلاء عن فلسطين في أول آب " أغسطس" سنة ١٩٤٨م...

وتوصي المملكة المتحدة بصفتها دولة منتدبة على فلسطين، وكل دولة أخرى من أعضاء الأمم المتحدة بالموافقة وبتنفيذ مشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي لحكومة فلسطين الصور المبينة أدناه وتطلب:

(أ) أن يتخذ مجلس الأمن التدابير الضرورية المنوه عنها في المـــشروع لتنفيذه...

(ب) أن يقرر مجلس الأمن إذا أوجبت الظروف ذلك أثنـــاء المرحلـــة الانتقالية، إذا كانت الحالة في فلسطين تشكل تهديداً للسلم، فإن قـــرر مجلس الأمن أنّ مثل هذا التهديد قائم بالفعل، فيجب عليه المحافظة على السلم والأمن الدوليين وفقاً للمادتين ٣٩ و ٤١ من الميثاق... لتخويل لجنة الأمم المتحدة سلطة في أن تمارس في فلسطين الأعمال التي يلقيهـــا هذا القرار على عاتقها...

(ج) أن يعتبر مجلس الأمن تهديداً للسلم وقطعاً أو خرقاً لـــه أو عمـــلاً عدوانياً بموجب نص المادة ٣٩ من الميثاق، كل محاولة ترمي إلى تغـــيير التسوية التي يهدف إليها هذا القرار بالقوة...

(د) أن يبلغ مجلس الوصاية بالمسؤولية المترتبة عليه بموجب هذا المشروع، وتدعو الجمعية العامة سكان فلسطين إلى اتخاذ جميع التدابير الـــتي قـــد تكون ضرورية من ناحيتهم لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ، وتناشد جميع الحكومات والشعوب للامتناع عن كل عمل قد يعرقل أو يـــؤخر تنفيذ هذه التوصيات... وتأذن للأمين العام أن يسدد نفقـــات ســـفر ومعيشة أعضاء اللجنة المشار إليها في القسم الأول الجزء (ب) الفقـــرة الأولى أدناه على الأساس والشكل اللذين يراهما مناسبين وفقاً للظروف، وأن يزود اللجنة بما يلزم من موظفين ومستخدمين لمساعدتهم في المهـــام التي ألقتها الجمعية العامة على عاتقها...

إنّ الجمعية العامة:

تفوض الأمين العام أن يسحب من صندوق المال المتداول مبلغاً لا يزيد عن مليوني دولار للغايات المبينة في الفقرة الأخيرة مـــن قـــرار مستقبل حكومة فلسطين...

الاجتماع الثامن والعشرون بعد المائة

في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧م

أربعون عاماً على أخطر قرار اتخذته هيئة دولية:

الأمم المتحدة قسّمت فلسطين في ربع ساعة...!!

يوم السبت في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني "نوفمبر" من العام ١٩٤٧م، كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تستعد لافتتاح آخر جلساتها لدورة خريف ذلك العام... وبينما كان معظم الأعضاء يحاولون إنهاء الجلسة بأسرع وقت ممكن، كانت الدوائر الصهيونية تلجأ إلى مختلف الدسائس والخدع لتحمل الجمعية العامة على التصويت على مشروع قرار بتقسيم فلسطين، وكان جميع المندوبين يعيشون أجواء تشير إلى الإجماع على ضرورة تأجيل التصويت وإنهاء الجلسة الختامية بأقل قدر ممكن من القرارات ذات الوزن الثقيل، لكن الدوائر الصهيونية كانت تعرف أنّ هذه الفرصة لن تتوفر مرة ثانية، وبالتالي قد تخسر المراهنة على وضع أعلى هيئة دولية في صف أطماعها في فلسطين، خصوصاً أنّ هذه الدوائر كانت قد لاحظت من خلال المشاورات والاتصالات في أروقة وكواليس هيئة الأمم أنّ الدولتين الكبريين لم تختلفا على تأييد هذا المشروع...

وفي صبيحة ذلك اليوم اتصل حاييم وايزمان بالرئيس الأمريكي ترومان ليتأكد من أنّ البعثة الأمريكية إلى الأمم المتحدة ستقف

الموقف المؤيد للتقسيم، كما كانت إدارة البيت الأبيض قد وعدت في وقت سابق كل من الوكالة اليهودية العالمية، وزعامة جماعة الهاغانا الإرهابية في فلسطين، لكنّ الرئيس لم يكن في البيت الأبيض، لقد كان يتابع مباريات كرة القدم بين فريقي المشاة والبحرية في الجيش الأمريكي... كذلك حاول العرب بدورهم القيام بنشاطات ربع الساعة الأخيرة من أجل منع التصويت على المشروع... فشكل المندوبون العرب وفداً من كميل شمعون مندوب لبنان وفاضل الجمالي مندوب العراق للاتصال بالبعثات الدولية المؤيدة لوجهة النظر العربية خصوصاً البعثتين التركية والإيرانية... وقد عاد شمعون والجمالي بعد جولتهما على مختلف الوفود... بشعور مفاده أنّ الجهود العربية المدعومة بصورة أساسية من قبل إيران تواجه اتفاقاً ضمنياً بجمع البعثتين الأمريكية والسوفيتية على ضرورة التصويت على المشروع وبأسرع وقت...

وبالفعل طرح المشروع على التصويت و لم يستغرق الأمر أكثر من بضع دقائق، فقد طلب السكرتير العام المساعد التصويت بنعم أو لا على المشروع الذي كانت قد اقترحته بعثة الأمم المتحدة الخاصة إلى فلسطين... ونادى السكرتير على المندوبين بالترتيب الأبجدي... وانتهى التصويت بأن نال مشروع التقسيم موافقة ٣٣ صوتاً وعارضته ثلاث عشرة دولة... وامتنعت عشر دول عن التصويت... هكذا في بضع دقائق وفي أواخر الجلسة الختامية اتخذت أعلى هيئة دولية أخطر قرار منذ إنشائها...

ولم يطل الوقت كثيراً على مندوبي دول العـــالم إلى الأمـــــم المتحـــدة ليدركوا مدى خطورة قرارهم المتسرع بنقل الصراع علـــى فلسطين من الدوائر الدبلوماسية إلى ساحات وجبهات القتال...

ومنذ اللحظة التي صدر فيها القرار، انقسم اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين إلى قسمين؛ الأول للابتهاج والرقص حتى الصباح، والثاني لتخطيط وتنفيذ عمليات إخراج العرب من قراهم ومدنهم... وبالفعـــل في اليوم التالي ومنذ الصباح الباكر بدأت الاعتداءات الصهيونية علـــى الأحياء العربية في المدن المختلطة مثل حيفا ويافا واللد والقدس ومعظـــم قرى فلسطين... وسقط في هذه الاعتداءات عدد كبير مـــن القتلـــى والجرحى العرب... الأمر الذي دفع شيخ الأزهر إلى إعـــلان الجهـــاد لحماية فلسطين، كما أعلن مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني الإضراب العام والمفتوح، أما البريطانيون الذين كانوا أصحاب الانتـــداب فقـــد أظهروا عدم اهتمام غريب بما يحدث في مدن وقرى فلسطين، إلى حد أنّ المؤرخ الإنجليزي كريستوف سايكس قال عن السياسة البريطانية عقب قرار التقسيم أنها كانت "سياسة تقودها حكومة تحركها غريزة عدميـــة تزرع الفوضى والخراب أين ما كان"... ومن وجهة النظر البريطانيـــة السائدة حول تفسير تلك المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية، فإنّ الحكومة البريطانية شعرت بأنّ هموم الإمبراطورية وواجباتها أصبحت أثقل مـــن قدرتها، ففي الشرق الأوسط بدا واضحاً أنها غير قادرة على ترتيـــــب نظـــام دفاعهـــا في مواجهة الاتحاد السوفيتي...

أما في فلسطين فقد واجهت موجة إرهابية صهيونية لم يتمكن جنودها هناك من السيطرة عليها... إضافة إلى موجة الهجرة اليهودية إلى فلسطين والتي كانت تسهل عملياتها دوائر دولية متعددة منها ما هو داخل بريطانيا نفسها، كذلك في لندن واجهت الحكومة البريطانية معارضة شديدة من قبل حزب المحافظين الذي لم يكن يوافق على سياستها في فلسطين والتي اعتبرها معادية للصهاينة...

في هذا المناخ العام من الضعف البريطاني في الشرق الأوسط وفي الداخل قررت حكومة لندن في شباط ١٩٤٧م وضع مشكلة فلسطين أمام الأمم المتحدة، اعتقاداً منها أن هذه الأخيرة لن تتمكن من إيجاد الحل المناسب... وكان وزير خارجية بريطانيا آنذاك ارنست بوفان يأمل باستعادة القضية من الأمم المتحدة خلال بضعة أشهر...

ولكن هناك في نيويورك كان الرئيس الأمريكي ترومان يتحين الفرصة للإمساك بالقضية للتخفيف من "آلام" اليهود وإرضاء اللوبي الصهيوني الذي مارس عليه مختلف أنواع الضغوط، أما الاتحاد السوفييتي الذي كان يأمل بدخول الشرق الأوسط، فقد وجد في قضية فلسطين أمام الأمم المتحدة مدخلاً مناسباً للوصول إلى هذه المنطقة الاستراتيجية...

هكذا بعد شهر من إحالة قضية فلسطين على الأمم المتحدة، أرسل الاتحاد السوفيتي بعثة إلى هناك... كانت مهمة البعثة رسمياً الاطلاع على أحوال الأرمن وبحث إمكانية إعادهم إلى أرمينيا، أما المهمة الحقيقية

فقد كانت الاطلاع على الأوضاع عامة في فلسطين استعداداً للمناقشة المقبلة في الأمم المتحدة...

وإزاء الاقتراح البريطاني بإرسال بعثة من الأمم المتحـــدة إلى فلـــسطين وإعداد مشروع يصوت عليه في الجمعية العامة.. فقد طالب العـــرب بالانسحاب البريطاني والفوري وإقامة "دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة وموحدة"...

ولم تكن الظروف الدولية عامة تسمح بالموافقة علـــى هـــذا الطلب فاكتفى العرب بانتزاع قرار بالموافقة على وفد فلسطيني مستقل، لكن ثمة هذه الموافقة كان قراراً آخر بالاعتراف المشابه بوفد للوكالـــة اليهودية العالمية...

ولعل الموافقة على تمثيل فلسطيني يهودي متساو هي التي فتحت الطريق أمام مشروع التقسيم...

وفي جلسة تشكيل بعثة الأمم المتحـــدة إلى فلـــسطين ألقـــى المندوب السوفيتي أندريه غروميكو خطبة عاطفية حول مصير اليهود في العالم، وأعلن تأييده لإقامة دولة يهودية في فلسطين...

ولدى انضمام غروميكو إلى موقف ترومان من ضرورة تخفيف "آلام اليهود" بدا واضحاً أنّ بعثة الأمم المتحدة لن تعود من فلـــسطين باقتراح مناهض لموقف الدولتين الكبريين المدعوم من قبل عدد كبير من الدول الأوروبية...

وبالفعل نشرت البعثة في أول أيلول "ســبتمبر" مــن العــام ١٩٤٧م نص تقريرها الذي طالب بإنهاء الانتداب البريطــاني فــوراً، وبالموافقة على التقسيم كحل نهائي للقضية الفلسطينية...

أمام هذا الإجماع الدولي على التقسيم، وجد العرب أنفــسهم وحيدين في أروقة الأمم المتحدة، حتى فرنسا التي كانت تجتــاز أزمــة سياسية داخلية جعلتها إلى حد ما بعيدة عن هذه الصراعات، وقريبــة بصورة ما من وجهة النظر العربية، عادت وصوتت لصالح قرار التقسيم بعد أن مارس الصهاينة ضغوطاً شديدة على رئيس الحزب الاشــتراكي آنذاك ليون بلوم الذي تدخل مع الرئيس الفرنسي فانــسون أوريــل ورئيس وزرائه روبرت شومان ووزير خارجيته جورج بيدو وانتهى إلى إقناعهم جميعاً بضرورة الوقوف مع الحالة الدولية العامة والموافقة علــى التقسيم... وما زال المؤرخون الغربيون حتى اليوم يأخذون على العرب أنهم طالبوا بالحد الأقصى، بينما تبنى الصهاينة سياسة الممكن... ولكن كيف يمكن اعتبار المطلب العربي بإقامة دولة "ديمقراطية مستقلة" "حــداً أقصى" خصوصاً أنّ معظم الدول التي صوتت لصالح التقسيم كانــت دولاً تعمل على تعميم الديمقراطية في العالم...

مجلة الحوادث اللبنانية، العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٤م... "صفحة ٣٨"...

مراحل احتلال فلسطين
في سطور

* ولدت الحركة الصهيونية في أوروبا، في العام ١٨٩٧م...

* الفلسطينيون هم المتحدرون من المستوطنين الأصليين الذين توالوا على أرض فلسطين، واكتسبوا اللسان العربي، فصاروا يعرفون بالعرب منذ القرن السابع للميلاد...

* نجحت الحركة الصهيونية في الحصول على التأييد البريطاني ونالت وعد بلفور عام ١٩١٧م...

* في العام ١٩١٧م كان عدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز ٥٦٧٠٠ نسمة من أصل سكان فلسطين البالغ عددهم نحواً من ٧٠٠,٠٠٠ نسمة...

* كان معظم هؤلاء اليهود قد جاء البلاد حديثاً، خلال الحرب العالمية الأولى، وقبلها بسنوات قليلة، ولم تمنحهم السلطات العثمانية التي كانت تحكم فلسطين صفة المواطنية "التبعية "...

* كان اليهود المقيمون والوافدون الجدد لا يملكون إلا ما نسبته ٢,٥ بالمائة من مجموع مساحة أراضي فلسطين، فيما هم يؤلفون ٨ بالمائة من مجموع السكان...

* بعد ثلاثين عاماً من الهجرة المنظمة إلى فلسطين (١٩١٨م – ١٩٤٨م) لم يؤلف اليهود عند قيام إسرائيل سوى ثلث الــسكان، و لم يملكــوا سوى ٦ بالمائة من مساحة الأراضي...

* كان الفلسطينيون يوالون معاركهم في سبيل التحرر الوطني في صورة ثورات وانتفاضات موجهة ضد الاحتلال البريطاني، والخطة الصهيونية، وأشهر هذه الانتفاضات هي التي حدثت في الأعوام ١٩٢٠م، ١٩٢١م، ١٩٢٩م، ١٩٣٣م، ١٩٣٦م، ٣٧ ــ ١٩٣٩م...

* عام ١٩٣٦م كلفت لجنة ملكية بريطانية استقصاء أسباب ثورة العام نفسه، فجاء في تقريرها أن ثمة سببين رئيسين هما:ــ "رغبة العــرب في نيل الاستقلال القومي، وكرههم لإنشاء الــوطن القــومي اليهــودي وتخوفهم منه "...

وجاء قول اللجنة في التقرير المذكور:ــ " إنّ هذين السببين هما بذاهما اللذان أديا إلى جميع الانتفاضات والاضطرابات السابقة "...

* عام ١٩٣٩م حاولت الحكومة البريطانية أن تنتهج سياسة جديدة في تقييد المزيد من الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي... لكــن الــسياسة الجديدة أثارت معارضة الصهيونيين معارضة انفجرت في صورة حملــة إرهابية منظمة عام ١٩٤٢م...

* في نيسان ــ إبريل من العام ١٩٤٧م أحالــت بريطانيــا المــشكلة الفلسطينية التي أوجدها هي برمتها، إلى هيئة الأمم المتحدة...

* في ٢٩ تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٩٤٦م، أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين على الشكل التالي:ــ دولــة يهوديــة ودولة عربية، ووضع منطقة القدس والقرى المحيطــة بهــا كجــسم منفصل " تحت نظام الوصاية الدولية "، وكان للضغط الشديد الــذي مارسته الولايات المتحدة على عدد من الدول الأعضاء، الدور الرئيسي الذي حسم التردد الطويل قبل اتخاذ قرار بالتوصية...

* عارض الفلسطينيون التوصية بقوة، وهبوا للدفاع عن حقهم الثابت في تقرير مصيرهم داخل أرضهم كلها...

* التوصية بالتقسيم لم تكن ملزمة لأعضاء الأمم المتحدة فحاولت القوى المؤيدة للتقسيم إدخال فقرة في مشروع قرار التقسيم تطلب إلى مجلــس الأمن " أن يتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذه" بوصــفه، قانونيــاً "الهيئــة المخولة" في ظل ظروف معينة اتخاذ قرارات ملزمة والمطالبــة بوضــعها موضع التنفيذ... ولكن المجلس رفض هذا الطلب رسمياً، في الخامس من آذار/ مارس ١٩٤٨م...

* في ١٩ آذار/ مارس تقدمت الولايات المتحدة الداعية الأكبر للتقسيم من مجلس الأمن، باقتراح بديل يدعو إلى وضع فلسطين كلــها تحــت الوصاية المؤقتة... وهو اقتراح قبله الفلسطينيون ورفضه اليهود فقــرر المجلس في أول نيسان / إبريل ١٩٤٧م دعوة الجمعية العامة إلى جلــسة استثنائية لإعــادة النظــر فــي توصية التقسيم السابقة... افتتحــت

الدورة الاستثنائيــة في ١٦ نيسان / إبريل واختتمت في ١٤ أيار / مايو ١٩٤٨م...

* خلال فترة إعادة النظر هذه، كان اليهود يتسلمون زمــام الأمــور بأيديهم، ولقد كتب حاييم وايزمن، أول رئـيس لإســرائيل بعـــد شهــور قليلة ما يلي:ــ "بينما كانت الأمم المتحدة تنــاقش اقتــراح الوصاية أخذت الدولة اليهودية في البروز إلى حيز الوجود"...

* كانت بريطانيا قد جردت الفلسطينيين من الــسلاح منــذ الثــورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م، وتبعاً لهذا كانت كلمــا انــسحبت القوات البريطانية من منطقة فلسطينية استعداداً للجلاء الوشــيك عــن البلاد، تشن القوات الصهيونية هجومها لتحتل مدينة بعد الأخرى، كل هذا حدث بين أول نيسان ومنتصف أيار ١٩٤٨م...

* وخلال هذه الفترة احتلت القوات اليهودية المساحة المخصصة "للدولة اليهودية"، وعلى أقسام واسعة من المنطقة المخصصة "للدولة العربية" مثل يافا وعكا ومناطقهما الداخلية...

* تم تشريد حوالي ٣٠٠ ألف فلسطيني حتى منتصف أيار ١٩٤٨م، من مجمل المناطق التي احتلها الصهيونيون، وقد كتب دافيد غوريون في هذا يقول:ــ " لقد وصلت الصهيونية مع حلول الرابع عــشر مــن أيــار ١٩٤٨م إلى غايتها في دولة قامت الهاغاناه علــى توســيعها وجعلــها يهودية"...

* حدث كل هذا قبل أن يدخل جندي واحد إلى فلسطين من أية دولة من الدول العربية المجاورة...

* بين ١٤و ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨م، حصلت الأحداث التالية:

١- انتهى الانتداب البريطاني رسمياً...

٢- علقت الجمعية العامة في قرار جديد، توصية التقسيم، وكلفت وسيطاً دولياً " لكي يبذل مساعيه الحميدة في سبيل الوصـــول إلى تسوية سلمية لوضع فلسطين في المستقبل"، فاغتاله اليهود، هو الكونت برنادوت...

٣- أعلنت الجالية اليهودية نفسها دولة من طرف واحد، ليس فقط في المساحة "الممنوحة" لها بموجب توصية التقسيم الميتة، بـــل في كل المنطقة التي استولت عليها...

٤- تدخلت الدول العربيـــة، عـــسكرياً ومتـــأخرة، في فلـــسطين وانهزمت...

* منذ هذا التاريخ ولد ما يسمى النزاع العربي ــ الإسرائيلي...

* عام ١٩٤٨م، وبدءاً من ١٥أيار/مايو حصلت الحـــرب، ثم إيقـــاف القتال ووقف إطلاق النار، ثم الهدنة الأولى، ثم الهدنة الثانية...

* عام ١٩٤٩م اتفاقيات الهدنة، والخرق العسكري المتكرر لبنودها...

* احتلت إسرائيل المناطق المجردة من السلاح...

* أدانت الأمم المتحدة إسرائيل بصورة ثابتة في ١١ قراراً رسمياً، تبناهـــا مجلس الأمن كما يلي تواريخها:

١٨ – ٥-١٩٥١م، ٢٤-١١-١٩٥٣م، ٢٩-٣-١٩٥٥م ١٩-١-١٩٥٦م، ٩-٤-١٩٦٢م، ٢٥-١١-١٩٦٦م...
٢٤-٣-١٩٦٨م، ١٦-٨-١٩٦٨م، ٣١-١٢-١٩٦٨م...
١-٤-١٩٦٩م، ٢٦-٨-١٩٦٩م...

* وثمة بالإضافة إلى هذه القرارات ٦ قرارات أخرى تبنتها الجمعية العامة بصدد الهجوم على مصر عام ١٩٥٦م...
* طيلة هذه الفترة بكاملها لم يصدر حكم بإدانة أية دولة عربية بشن هجوم ضد إسرائيل...
* الحرب الخاطفة في حزيران ـ يونيو ١٩٦٧م، واستمرار احتلال إسرائيل لأراضي الدول العربية المجاورة...
* الضم الفعلي للقدس المحتلة ومناطقها المجاورة، وقد أصدر مجلس الأمن قرارات بلوم إسرائيل في ٢١-٥-١٩٦٨م... وفي ٣-٧-١٩٦٩م وفي ١٥-٩-١٩٦٩م... كما أصدرت الجمعية العامة قرارات مماثلة في كل من ٤-٧-١٩٦٧م ١٤-٧-١٩٦٧م...

مسلسل الجرائم الصهيونية

* مذبحة دير ياسين ١٠ إبريل ١٩٤٨م...

* مذبحة قبية ١٤ أكتوبر ١٩٥٣م...

* مذبحة كفر قاسم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م...

* مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا ١٦ – ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م...

مذبحة المسجد الأقصى ١٨ أكتوبر ١٩٩٠م...

* مذبحة الحرم الإبراهيمي في الخليل ٢٥ فبراير ١٩٩٤م...

مذابح أخرى بين مذبحة دير ياسين ومذبحة الحرم الإبراهيمي في الخليل:

* مذبحة بلد الشيخ، وقد تم الهجوم من قبل عصابات الهاغاناة على قرية بلد الشيخ "تسمى اليوم تل نحنان" ليلة رأس السنة في ١٩٤٨/١٢/٣١م، وقد أدى هذا الهجوم إلى مصرع الكثير من النساء والأولاد، وقد كانت حصيلة المذبحة حوالي ٦٠٠ قتيل في المنازل معظمهم من غير المحاربين...

* الهجوم على قرية سعسع في الجليل ليلة ١٤ – ١٥ فبراير ١٩٤٨م، وتم نسف ٢٠ منزلاً على ساكنيها، معظمهم من النساء والأطفال...

* تدمير قرية أبو كبير في ٣١ مارس ١٩٤٨م، على يد فرق الهاغاناة، وذلك من خلال الهجوم المسلح والتفجير وقتل السكان الهاربين من بيوتهم طلباً للنجاة...

* قتل نساء عربيات يقمن في دير سان سيمون على يد الكتيبة الرابعـــة من البالماخ...

* مذبحة أبو شوشة:ــ في فجر يوم ١٤ سنة ١٩٤٨م بـــدأت مذبحـــة رهيبة في قرية أبو شوشة المجاورة لقرية دير ياســـين راح ضـــحيتها ٥٠ شخصاً من النساء والرجال والشيوخ والأطفال، ضربت رؤوس العديد منهم بالبلطات، وقد أطلق الجنود الصهاينة النار على كل شيء متحرك دون تمييز، وحتى البهائم لم تسلم من ذلك، وقد قـــام بهـــذه المذبحـــة وحدات من لواء جعفاتي الصهيوني...

* مذبحة اللد:ــ دخلت القوات الإسرائيلية في ١٢ يوليو ١٩٤٨م مدينة اللد، وأطلق جنود "يفتاح" النيران الكثيفة على جميع المارة في الشوارع دون تمييز، ويعترف اليهود بقتل ما يزيد عن ٢٥٠ عربياً لكن عـــارف العارف المؤرخ الفلسطيني المعروف يقول أنّ عدد الـــشهداء والـــذين حصدهم الرشاشات اليهودية وصل ٥٠٠ عربي، وقد قتل أكثـــر مـــن ١٥٠ منهم داخل المسجد الكبير، وكان قائد اللواء اليهودي المهـــاجم يدعى مولاكوهين...

* مذبحة قلقيلية:ــ قال موشي دايان وزير حرب العـــدو " ســـأحرث قلقيلية حرثاً " في اجتماع على الحدود عام ١٩٥٣م وقد تم العـــدوان على قلقيلية يوم ١٠/١٠/ ١٩٥٦م من خلال مفرزة مـــــن الجـــيش وكتيبة مدفعية، وعشر طائرات مقاتلة كما تحشدت في العاشرة ليلاً قوة من المستوطنين هاجمت المدينة بالتعـــاون مع الجيش، وانهالـــت المدفعية

بحممها على المدينة، واستشهد خلال هذه المجزرة قرابة سبعين شخـــصاً وهم يدافعون عن المدينة، وكان الجيش الذي دخل المدينة يطلق النـــار على المنازل وعلى كل ما يصادفه، وقـــام بقطـــع خطـــوط الهـــاتف والكهرباء، ومارس أعمال الإرهاب والرعب المعتادة مـــن العـــصابات الهمجية في تاريخ البشرية غير مبال بالأطفال أو النساء أو الشيوخ...

* قام الجيش الصهيوني بمذبحة ضخمة في مخيم خان يونس للاجـــئين في قطاع غزة قتل فيها أكثر من ٢٥٠ من السكان المدنيين، وذلك خـــلال هجوم شنه الإسرائيليون على المخيم يوم ٣ نـــوفمبر ١٩٥٦م وفي ١٢ نوفمبر ١٩٥٦م ــ أي بعد تسعة أيام فقط ــ قامت وحدة من الجيش الإسرائيلي بمجزرة راح ضحيتها حوالي ٢٧٥ فلسطينياً من المـــدنيين في نفس المخيم، وقتل خلال الهجوم الأخير أكثر من مائة آخرين، وفي نفس اليوم من سكان مخيم رفح للاجئين...

* مجزرة السموع:ــ من خلال الهجوم المدفعي الوحشي عليهـــا عـــام ١٩٦٦م، حيث تم تدمير ١٢٧ منزلاً في القرية، وقتل ما لا يقل عن ١٨ شخصاً، وجرح ما يزيد عم ١٣٤ آخرين...

* تم تصفية أكثر من ٢٣ مدنياً في مخيم رفح للاجئين الفلـــسطينيين في قطاع غزة عام ١٩٦٧م، وظلوا مطروحين في الشارع بعد قتلهم لعـــدة أيام وذلك بهدف إرهاب السكان...

* مجزة "عيون قارة " قرب تل أبيب أدت إلى سقوط ٧ شهداء على يد جندي يهودي في ١٩٨٩/٥/٢٠م...

* مجزرة الأقصى ٢٠٠٠/٩/٢٩م...



* "جريدة الوحدة" الأسبوعية ـــ عمان العدد رقم ٨٧ تاريخ ١٤ أيار ٢٠٠٣م ـــ السنة الثانية...

ورقة الـ ١٠٠ شيقل الجديدة
تدعو يهود العالم إلى الهجرة إلى فلسطين

طرحت وزارة المالية الإسرائيلية أوراقاً مالية جديدة إلى الأسواق من فئة الـ ١٠٠ شيقل، وكذلك من فئة الـ ٢٠ شيقلاً، وقد كتب عليها ما يلي:

نحن نفتتح اليوم بمجموعة من القرارات المقدسة لأسباط إسرائيل وبالأخص أولئك القادمين من جميع أنحاء العالم، أن لا يتأخروا بقدومهم والذي يتأخر عن هذا العام (أي ١٩٩٩م) فإنه يعتبر خارجاً عن الملة اليهودية، ولن يكون له نصيب فيها...

نحن نؤمن جزماً بمستقبل شعب صهيوني ساكن يعمل على قواعد ديمقراطية راسخة نابعة من نبوءاتنا، نبوءات الصدق، ونؤمن ونصرخ عالياً من أجل لم الشمل حتى تكون لنا القوة التي من غيرها لن ننجح في بناء البيت والهيكل...

هذا هو المطلوب لصدق النبوءات جيل وراء جيل، وهو يمهد لذلك (يعني المسيح الدجال) فهل أنتم متخلفون عن الركب...؟!

نجمة داود سوف تكون بعدها ترفرف فوق أرض "إسرائيل الكبرى" في الأرض الموعودة...؟!



جريدة "الدستور"... الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٠م... الموافق ٧ تموز ١٩٩٩م...

الفهـــــرس

كتبت فصول هذا الكتاب في عام ٢٠٠٤ قبل صدور قرار محكمة العدل الدولية الذي ينص على أن تفكك اسرائيل السور العازل وتتوقف عن البناء .

ولكن اسرائيل ضربت بهذا القرار عرض الحائط و لم تلتفت إلى القرار بل هي ماضية في عداوتها متحدية العالم كله .

ولا تعليق لها على ذلك سوى أن تقول: ما زال العدوان مستمراً.

